تفسير
جهلنا
لا بالأمس

البحث الريفي

سريع ◆ متأن ◆ وبالمشاركة

تأليف: روبرت شامبرز
ترجمة: د. ماجدة ميرغني

البحث الريفى

سريع، متأنٍ، وبالمشاركة

بروفسير روبرت شامبرز

ترجمة د. ماجدة ميرغنى

الدار الثقافية للنشر

RURAL APPRAISAL	عنوان الكتاب : البحث الريفى
Rapid, Relaxed and Participatory	سريع ، ومتأن ، وبالمشاركة
ROBERT CHAMBERS	المؤلف : روبرت شامبرز
Dr. MAGDA MERGHANI	المترجم : د. ماجدة ميرغنى
160 p. 14x 21cm.	١٦٠ ص . ١٤ x ٢١ سم .

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٠٠/٩٦٤٥

الترقيم الدولى : I.S.B.N 977-5875-46-3

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

الدار الثقافية للنشر - القاهرة

ص.ب ١٣٤ بانوراما أكتوبر ١١٨١١ - هاتف وفاكس ٤٠٢٧١٥٧ - ٤١٧٢٧٦٩

Email: sales @thakafia.com
Website : www. thakafia. com

إهــداء

إلى أستاذى/ أحمد محمد سعد

وهو فى مقدمة القلائل الفانين أعمارهم فى سبيل المعنى. ما تقاعست إلا وذكَّرنى بسيف الزمن، وأفاض فى شرح فضائل من تعلَّم، وعلَّم.

إلى أهلى فى جبال النوبة

وهم يتشبثون برقعة راعفة من أرض وطنهم السودان، يطوف الموت بأنحائها آناء الليل وأطراف النهار، يقاومونه كأبطال الأساطير فى الحياة الأولى.

إلى الطفل "كومى" هناك

بسنواته السبع. وهو يخوض الحرب ضد عدو حرم قدميه اللينتين الصغيرتين النعال، ومنع أصابعه شديدة الحماس من أن تمسك بقلم ترشح من حبره أنوار الأبجدية.

ثم إلى أخواتى اللاتى أخجلننى

وأنا أحملُ أوراقى وأدوات التدريب على علم جديد، وكما النساء ألبس قلادتى من معدن الذهب. أما هنَّ فقد حملن بأيديهن بنادق الكلاشنكوف. ووضعن على أعناقهن قلادات مسابح الرصاص، أمال، وسلوى، ونيرة، ومريم، وفاطمة.

إلى أهلى فى صعيد مصر

أهل الشاورية، والأعقاب الكبرى، ونجع ونس، وتوماس عافية، والكفور، ودابود، والبراهمة، والعويضات، وأبو سمبل، والمحروسة، والشرقى سمهود، وبلانه، والمراشده، ورفاعة، وفطيرة، والعباسية... وآخرين ..

سعيت لأعرفهم، فأمطرونى بزاد كثير، كان له الفضل فى زحزحة زيد عظيم ـ من ذلك النوع الذى يغمر أدمغة النخب.

أما روبرت شامبرز

الأب الروحى لهذا المنهج فأنا مدينة له بأن علّمنى قراءة نفسى، لأختار بعدها أى الدروب هو الأنسب.

ماجدة ميرغنى

المحتويات

الصفحة



مفتتح

كثيرون من أصحاب المواقع الهامة والمؤثرة، يتساءلون عن ماهية منهج البحث الريفى بالمشاركة المسمى "PRA " وعن سر اهتمام المنظمات غير الحكومية NGO_S، ومؤسسات الأمم المتحدة العاملة فى مجال التنمية بهذا المنهج، ولعلنا ننصف بعض أولئك المتسائلين إذا ما وصفنا نواياهم بالصدق، إذ هم يسعون وبجدية مطلوبة للتعرف على طبيعة ذلك المنهج ودروبه المتعددة بطرق شتى، ومن مصادر مختلفة ومتباينة. وهناك نفر آخر، متشدد بعض الشئ، يتمسك بالقديم ويحض عليه، ويميل إلى وصف هذا المنهج بأنه مجرد ظاهرة شأنه شأن الظواهر الأخرى، بل يشتط أحيانا ليصفه "بالبدعة" كما وُصِفت من قبل بعض أدوات ووسائل وطرق معالجة قضايا البيئة.. وحقوق الإنسان .. وقضايا النوع " Gender Issues " .. إلخ. والتى تنشغل باستخدامها منظمات ومراكز ومؤسسات عديدة .

أما المجموعات الأخرى، والتى حظيت بفرص فى التدريب ضمن الدورات التى تنظمها بعض المنظمات لفرق الممارسين لبرامج التنمية ومجموعة طلاب الدراسات العليا، كما هو الحال بالنسبة لطلبة جامعة النيلين بالسودان "جامعة القاهرة فرع الخرطوم "سابقاً"، وقد أتيحت لى فرصة الحوار معهم إبان الفترة التى كنت أعمل فيها بالتدريس هناك، وأستطيع أن أصف حواراتهم وأسئلتهم تلك بالعمق والجدية حول المنهج، منهج الـ " PRA" ، ولعل ضرورة ترجمة هذا الكتاب قد ألحت

علىَّ وتفرع همها وأنا أمر بتلك التجربة، تجربة الحوار مع أولئك الطلاب.

لقد شاركت ضمن فريق الدورة التدريبية التى نظمها برنامج الأمم المتحدة الإنمائىUNDP ، فى إحدى مشاريع تنمية المناطق المختارة ADS فى شمال السودان مشروع أدنى عطبرة "ADS Lower Atbara" ، وهو واحد من المشاريع الخمس المختارة لأقاليم السودان المختلفة. وكان ذلك فى عام 1993. كان المشاركون فى تلك الدورة يمثلون المشاريع المختارة جميعها ولعل الفضل الكبير فى حصولى على موضوع الترجمة، يعود إلى الأستاذ روبرت لويس المحاضر بجامعة برمنجهام بانجلترا، فقد أتى ومعه مجموعة من الكتب والدوريات الخاصة بمنهج الـ PRA ، وكان موضوع الترجمة والذى بين أيديكم الآن هو واحد من الموضوعات التى قام بإهدائها لى، ثم اتفقنا بعد حوار على أهمية ترجمتها وتوصيل محتواها إلى المنشغلين بهذا النوع من البحوث الهامة فى مجال قضايا التنمية فى عالمنا الثالث، وأذكر تنبيهه لى بضرورة الاتصال بمؤلف هذا الكتاب روبرت شامبرز.

ثم عدت بعد أمسية حوارى مع "لويس" وأنا فى حالة حماس عملى لفكرة الترجمة، غير أن مشاغل جمة أعاقت إستمرارى ومثابرتى، وظل الهاجس يحوم حولى، ناشرا حملات اللوم والتأنيب، إلى أن جاء يوم رميت بكل شىء ورائى، لأتفرغ، وأحقق هذه الرغبة فى وضع مشروع الترجمة هذا فى أول القائمة، وأحشد لذلك ما أستطيع، مدججة بإيمانى واقتناعى بجدوى هذا المنهج ودوره الهام فى الأخذ بأيدى المحتاجين من أهلنا فى تلك الأرياف البعيدة الصابرة.

"إن دافعى للترجمة، يعضده الإعجاب بدقة التحليل، الذى حققه روبرت شامبرز وذلك الوضوح فى عرض فلسفة هذا المنهج وإلى ماذا ترمى؟. ومن تستهدف؟. وإلى أى فئة تنحاز؟ وبأى الأدوات؟ ثم بعد ذلك كله تلقى بالسؤال الكبير وهو "من ذلك المؤتمن الذى سوف تؤول إليه راية مسئوليه الحفاظ وتطوير مثل هذه المناهج وثيقة الصلة بمستقبل حياة أجيالنا القادمة؟".

إننى شديدة الاعتقاد بأن مثل هذه الأوراق التى أتشرف بتقديم مساهمتى فى ترجمتها للقارئ العربى تدعو، وبالجدية كلها إلى ثورة لا تقل فى قوتها وأهميتها عن ثورات تحققت فى التاريخ، وارتبطت بمصالح الأغلبية من المقهورين والمظلومين فى عالمنا، وصواب أن نقول أنها تختلف عنها فى الوسائل والأدوات، غير أن الأكثر صواباً أن نقول: أنها تتميز عنها ببعدها عن أبواق الدعاية وهرج "المسيسين" إنها تقوم بمهمة نبيلة، ولا تنوب فى منهجها عن أحد أو مجموعة بعينها، بغيتها الكبرى أن يستعيد الإنسان المسلوب ثقته بنفسه عبر مده بوسائل وأدوات المعرفة ليتحرر، ويجئ وعيه بقدرته وملكاته مرتكزا على ذلك التحرر سلاحاً يحارب به البؤس والفاقة وأسباب الظلم كلها .

إن ذلك المنهج يعمل مع الناس وبهم، لا يأتيهم من الأعالى ولا يسقط عليهم محركا لهم باعتبارهم إمَعات، وفى ذلك تكمن قوته - وسر قبول المقهورين لدخوله ناشرًا ذراعيه جم التواضع، إنسانى السمات، تفيض أجنحته بالدفء وكل عاطفة .

إنه منهج ثورى ليس بالجديد، وهو يتناقض مع تلك المناهج الثورية العتيقة التى جعلت انتشال الإنسان الكادح المغلوب مرماها وهدفها،

غير أنها أخفقت فى أن أنابت عنه وفعلت باسمه كل شئ - وكان الغائب، لم يشرك فى شئ، وداست رغباته وحريته فى الاختيار الأقدام .

لقد بهرنى روبرت شامبرز هذا العالم شديد التواضع، بمحاولاته القديمة والجديدة فى الدفع بهذا المنهج خطوات للأمام، كما استوقفنى وهو يسأل فى مؤلفه عن قدرة هذا المنهج على اقتحام مصاعب كثيرة، وشق دروب وعرة، لينجح وينتشر، ولعل التجارب التطبيقية التى قامت بها الفرق، وتسلحت بها الكوادر تجيب على تساؤلات هذا العالم "شامبرز"، وتخجل قدرا لا بأس به من مساحات تواضعه وإيثاره .

أكاد أجزم بأن هذا المنهج قد حرك فى أهل الريف الذين كان لهم حظ التمتع بنعمه وسجاياه رغبة عارمة فى تغيير الثابت العتيق من وسائلهم وأدواتهم - ومن ثم الإنتظار غير الواهم لغدٍ أفضل .

إن سحر الـ PRA وبريقه لا يكتمل إلا بتجربة العمل الميدانى وثيقة الصلة بالمعنيين الحقيقيين بالتمية وهو منهج تم التوصل إليه بعد عقود من البحث المضنى والتنقيب، وقد أفنى نفر من الباحثين الرواد أعمارهم فى سبيل قضية النهوض بأهل الريف وسكان أطراف المدن - وأولئك المهمشين المرتبطين حقا بأرضهم وزرعهم وثقافاتهم، ويجىء فى هذا الدرب مؤلف هذا الكتاب شامبرز الكاشف المعاصر لسر قدرة الـ PRA على الوصول إلى باب أحلام أهلنا فى الريف بتلك الشحنات الإنسانية الخالصة - التى تصون كيانهم كبشر، لهم كل الحق فى اختيار وسائل معاشهم - وتحديد وجهة قطار حياتهم، بعيدا عن وسائل الابتزاز أو التفرقة بسبب العرق أو العقيدة، أو الانتماء السياسى، أو الوضع الاجتماعى .

أقول ـ لروبرت شامبرز نفسه يعود فضل ظهور هذه الترجمة فقد كتبت له فى أغسطس1997 أستأذنه وأطلعه على تقرير عن أحد تطبيقاتنا الناجحة التى تمت فى قطرنا " السودان" فى قرية نائية فى أقصى الشمال إسمها "كوشه" إحدى قرى محافظة وادى حلفا، وقد صادفت أمجادا فى الزمن الغابر ـ وكانت محطة فى التاريخ يشار لها بزهو شديد ورد على رسالتى يطلب النسخة المترجمة، فأسرعت الخطى لأكون على قدر مبادرتى، وأنجزت معظم صفحات الكتاب، وتشاء الصدف أن أسافر إلى الأردن فى ذلك العام للمشاركة فى ورشة عمل تضم مدربين وممارسين لمنهج الـ PRA .

وصلت متأخرة بعض الشئ عن موعد إفتتاح الورشة فلم اتعرف على شامبرز إلا فى صباح اليوم التالى، سمعته ينادينى وأنا جالسة على إحدى طاولات مطعم الفندق الذى استضاف الورشة ومعى صديقتى سوزان إسطفانوس فى مركز خدمات التنمية (CDS) ـ كان رجلا طويل القامة، أبيض الشعر، نحيفاً جدا ، متواضع الهيئة إلى أقصى حد، يتكلم ويديه وحواسه كلها فى حركة، وصدقت صورتى التى رسمتها له فى خيالى، هو شامبرز بعينه ـ هذا العبقرى المتحد مع منهجه لدرجة عدم التصديق ـ هو كالمتصوف فى ساحة "الحضرة" يندمج فى الشرح والمطابقة فينسى حذاءه ليحوم حافياً، ويزداد شعره الأبيض الطويل طولاً، وتغرق عيناه من حالة الصدق التى يعيشها، كل من يستمع له، يدق النواقيس أن هلموا إلى الأخذ بيد المحرومين فى هذا العالم .

فى الختام ـ كلى أمل فى أن أكون قريبة فى محاولتى هذه من روح نص روبرت شامبرز . ولو جانبنى التوفيق فأنا لائذة بلا شك إلى العذر الذى أرجو ألا يكون أكبر من الذنب، وهو نسبة اقترابى الضئيل من سحر هذا المنهج، وفضيلة تذكير الناس بعبقرية مفجره بروفسير شامبرز.

إن رغبتى تكمن فى أن أنقل إلى قراء العربية المهتمين بأمر هذا المنهج جهودا نظرية عالية الصدق، وافرة الدقة وربما خفَّف ذلك إحساسى بهول المغامرة .

تمهيد

تدل عبارة*"البحث الريفى بالمشاركة Participatory Rural Appraisal" PRA على مجموعة من الاتجاهات والطرق، تتسم بالنمو المتلاحق وتهدف إلى تمكين السكان المحليين من تبادل المعلومات عن حياتهم وظروفهم، بغية تحليلها، ومحاولات تطويرها عبر خطط وبرامج قابلة للتنفيذ.

يرجع أصل الـ PRA إلى مجموعة من البحوث والعلوم، ويدين بالفضل لها، وتتمثل تلك العلوم فى كل من .. "البحث العلمى المتسم بالمشاركه" وتحليل المنظومات البيئيه الزراعية، وعلم الأجناس التطبيقى، والبحوث المتصلة بالزراعة، والبحث الريفى السريع Rural Rapid Appraisal، الـ RRA .

- ففى حالة الـ RRA ، نجد أن الغرباء يقومون باستنباط المعلومات واستخراجها. أما فى الـ PRA فهناك مشاركة بين السكان المحليين والغرباء فى المعلومات التى لدى كل طرف منهم .

إن سلوك الغرباء واتجاهاتهم كمعاونين، أمر فى غاية الأهمية - إذ عليهم أن يتصرفوا بتؤدة وصبر . لا بالسرعة والأندفاع، وإن يحترموا السكان المحليين، وأن يكونوا مستعدين لتسليمهم الراية، وأن يكونوا قادرين على ممارسة النقد الذاتى.

إن طرق البحث والمشاركة والتحليل ليست مغلقة، بل مفتوحة

---

* المصطلح المتعارف عليه هو : Participatory , Rapid, Appraisal

وقابلة للتطوير وكثيراً ما تعتمد على عنصر المشاهدة، ويتم البحث عادة فى مجموعات ، وتجرى غير ذلك المقارنات بين البيانات المختلفة.

إن من بين تطبيقات الـ PRA العديدة، تلك البحوث التى أجريت فى مجالات إدارة الموارد الطبيعية (صيانة التربة والمياه، الغابات، الأسماك، الحياة البرية، تخطيط القرى.. إلخ)، والزراعة وبرامج محاربة الفقر، والصحة. والأمن الغذائى، وتؤكد الدلائل فى الوقت الحاضر على مصداقية وثبات المعلومات السائدة بين أهل الريف التى تم جمعها بطرق الـ PRA ، ولكن هناك مخاطر تتمثل فى ظواهر مثل. البدع والحماس المفرط، والاندفاع، والبيروقراطية، والروتين، وهنالك أيضاً عملية الرفض التام التى - تحدث أحيانا للطريقة نفسها.

إن تحديات كثيرة تواجه إنتشار الـ PRA ، وهنالك عوائق تحد من إقتناع الآخرين بتميزه وقدرته فى إحداث تغييرات جوهرية فى المجتمع المعنى. إما الإمكانات الكامنة، فتشمل البحوث الزراعية التى يقوم بها المزارعون أنفسهم، وإيجاد البدائل للإستطلاعات ونشر الـ PRA عن طريق القرويين، ودعم الطفرة النوعية نحو اللامركزية، والتنوع المحلى، وتمكين الفقراء والمستضعفين من كسر شوكة العوز والفاقة ليصبحوا أكثر قوة ومنعة .

البحث الريفى

سريع، ومتانٌ، وبالمشاركة

مقدمة

لقد شهدت السنوات العشر الماضية تحولات فى خطاب التنمية الريفية أكثر مما لقيت هذه التنمية من تطبيقات عملية. وتشمل هذه التحولات ماهو معروف الآن بالانتقال من الطريقة المسماة «من أعلى إلى أسفل» إلى طريقة من «أسفل إلى أعلى» وتشمل أيضاً استبدال الرقابة المركزية بالانتباه إلى التنوع المحلى، والخطط الثابته بأسلوب التعلُّم، مما يعنى تراجعاً ملحوظاً عن أسلوب الاستبيانات لاستخلاص المعلومات، والتوجه نحو التقييم والتحليل بالمشاركة، حيث يقوم أهالى الريف أو المدن بأنفسهم بالأنشطة التى كان يقوم بها الغرباء .

وهنالك طريقتان لعبتا دورا هاماً فى هذا المجال لهما صلة وثيقة ببعضهما وكثيرا ما يشار إليهما بتسمية «البحث الريفى السريع RRA الذى انتشر فى الثمانينات، وتطور بعد ذلك إلى البحث الريفى بالمشاركة PRA الذى ظهر بسرعة وبدأ فى الانتشار فى التسعينيات.

إن من أهداف هذه الورقة هو عرض نشأة كل من الـ RRA . والمبادئ التى ترتكز عليها وطرقها، ووسائلها، وتطبيقاتها. كما تهدف الورقة إلى الكشف عن سمات الـ PRA وتقييم نقاط القوة والضعف فيه، كما تنبه الورقة أيضًا إلى أهميته كأنموذج يحتذى فى مجال تنمية الريف .

1. بعض مصادر الـ PRA

إن اقتراح تعريف ثابت ونهائى للـ PRA ليس مفيدا، إذ أن الطرق والوسائل التى يشار إليها بهذا الأسم تتطور بسرعة فائقة؛ وكلما تطور الـ PRA كلما تغيرت دلالاته ومعانيه. ولقد عرفه البعض بأنه "طرق ووسائل ومداخل للتعلم، وفهم عن الحياة الريفية ومناحيها عبر أهل الريف، وبمشاركتهم، ولتعلُّم أهل الريف أنفسهم» وقد عدل ترتيب هذه العبارات، بحيث أصبح "تعلم أهل الريف" يأتى قبل "المشاركة"، ثم تليها عبارة "التعلم منهم". بيد أن الـ PRA لا يقتصر على التعلم، بل يتعداه إلى التحليل، والتخطيط، والعمل.

تستخدم عبارة الـ PRA أيضا لتدل على مجموعة متنوعة من الطرق والمداخل وقد ظهر أخيرا وصف للـ PRA يشمل هذه المجموعة المتنوعة وهو **"انه مجموعة من الطرق والوسائل تهدف إلى تمكين أهل الريف من تبادل المعرفة الخاصة بحياتهم فى كل اشكالها، والارتقاء بها، وتحليلها ، والاستفادة من ذلك التحليل للتخطيط والعمل".**

إن أسلوب الـ PRA كما كان يبدو فى أوائل التسعينات قد تطور ناهلاً من مصادر، وتقاليد كثيرة، وبعض أساليبه قد تبدو للبعض جديدة، ولكن بعضها كان إعادة اكتشاف لطرق قديمة (انظر على سبيل المثال ما كتبه وايت 1977؛وبيلتو وبيتلتو 1978؛ وروذز 1990). وليس من الصواب، لتفهُّم ما حدث، أن نحاول رصد المسببات، والآثار والابتكارات، والتأثيرات، وعوامل الانتشار ونفعل ذلك وكأننا نسير فى خط مستقيم.

إننا فى عالم تسارعت فيه وسائل الاتصال، وأصبحت بالتالى

وسائل تبادل المعرفه سريعه إلى أقصى حد، مما جعل اقتفاء أثرها . وسبر أغوارها أمرا صعبا ولذلك نجد أن تلك المصادر والتقاليد سالفة الذكر تعيش حالة أشبة بالسريان فى نهر دافق، كثير الروافد مما زاد من ترابطها وتمازجها، خلال العقد الماضى . ورغم أن تلك الروافد تسير فى منحنيات مختلفة، لكنها جميعًا تلتقى فى نقطة واحدة، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. وكما يحدث فى نقطة الالتقاء، فإن سرعة ترابط وتمازج هذه المصادر قد ازدادت، كما أن الابتكارات والتغييرات تسارعت لتشمل مجالات جديدة .

وهناك خمس قنوات ، برزت كمصادر للـ PRA وموازية له تتمثل فى الآتى:

1- البحث بالمشاركة المتسم بالنشاط العملى .

2- التحليل الزراعى / البيئى .

3- علم الأجناس التطبيقى .

4- البحث الميدانى فى النظم الزراعية .

5- البحث الريفى السريع . RRA

1-1 البحث بالمشاركة المتسم بالنشاط العملى

يستخدم تعبير "البحث بالمشاركة المتسم بالنشاط العملى"، كدلالة على مجموعة من الطرق والوسائل، التى تستخدم أسلوب الحوار، والمشاركة، للارتقاء بوعى أهل الريف وتمكينهم، وتعزيز ثقتهم بأنفسهم، ولتعطيهم القوة والمنعة ليتمكنوا من القيام بالأعمال والأنشطة المطلوبة. وبهذا المفهوم فإن البحث بالمشاركة المتسم بالنشاط العملى يدين بالكثير لأعمال باولو فريرى 1968، ولكتابه الشهير «تعليم

المقهورين» ويدين أيضاً لحملات التوعية فى أمريكا اللاتينية .

لقد أصبحت رسالة فريرى، التى تدعوا إلى أن الفقراء والمستغلين من الشعب، يجب أن يمكّنوا من تحليل واقعهم بأنفسهم، ذات أثر كبير، رغم أنها لم تجد القبول إلا بين القلة من خبراء التنمية. وهناك مدرستان لهما صلة «بالبحث بالمشاركة» والبحث العملى «بالمشاركة».

إن "البحث بالمشاركة" إرتبط بحركة تعليم الكبار منذ عام1975 على أقل تقدير (الالتقاء،1975, 1981, 1988) وقد أنشئت شبكات اتصال إقليمية، وأقيمت ورشة عمل إقليمية أفريقية أيضاً حول "البحث بالمشاركة"، فى تنزانيا عام 1979 (قسَّام ومصطفى 1982) . وفى الهند حاولت جمعية البحث والمشاركة فى آسيا، عام 1982، نشر فلسفة وتطبيقات البحث بالمشاركة. وقد أقيم البحث بالمشاركة فى ظروف متباينة إلى درجة كبيرة (رحمان 1984). ففى بنغلادش على سبيل المثال، حسب ما نشرته صحيفة الشبكة (براك 1983) اشترك الفقراء والمستضعفون فى دراسة وتحليل نظام السلطة فى عشر قرى، وعرفوا كيف أن الخدمات الموجهة إليهم فى هذا المجال، تستغلها الصفوة المحلية المختارة. وفى الولاياتت المتحدة الأمريكية قام مركز الهايلاندر فى مقاطعة أبا لا شيا الريفية، بتمكين المجموعات المحرومة من الثقة فى خبراتها وقدراتها. كما أتاح لها إمكانية المقاومة والتحدى السياسى (كافنتا ولويس1991).

أما "البحث العملى المتسم بالمشاركة" فقد ظل من جانبه موازيًا ومتداخلاً فى "البحث بالمشاركة". وله ارتباطات قوية مع الصناعة

والزراعة (وايت1991).

لقد اتخذ "البحث العملى المتسم بالمشاركة "أشكالا مختلفة، تم تطبيقها بواسطة باحثين لهم مواقف أيدلوجية متباينة إبتداءً بذوى المذاهب السرية المتطرفة، وانتهاءً بالباحثين الميسِّرين الذين يعملون بطرق غير تقليدية. وقد أدى التركيز على قضية المحرومين وبوسائل العمل السياسى إلى تهديد مصالح النخبة المهيمنة، على الصعيدين السياسى والمهنى، مما اعاق من انتشار تلك الطريقة. وفى الواقع، فإن الكثير من مناهج الـ PRA كان ولا زال مهموماً بالفقراء، وساعياً قدر المستطاع، لترسيخ فرص العدالة لهم. وبمقارنة الـ PRA مع معظم أشكال "البحث العملى المتسم بالمشاركة" نجد أن الأول قد اقتضى تقليلاً فى الحوار المطول، وزيادة فى التحليل البصرى، وتنوعا وتعددا فى المعارف.

إن مساهمة "البحث العملى المتسم بالمشاركة" فى الـ PRA من خلال المفاهيم النظرية كان أكثر من مساهمته من خلال التطبيق. وفيما يلى أهم الأفكار والقواعد البارزة المشتركة بين الأسلوبين :

- **إن الفقراء مبدعون ولهم قدرات، ويستطيعون، بل يجب أن يقوموا بالكثير من أبحاثهم وتحليلاتهم، ووضع خططهم بانفسهم.**
- **للغرباء دور يتمثل فى كونهم وسطاء وميسرين .**
- **واجب إعطاء الضعفاء القوة والمنعة، اى تحريضهم وتمكينهم .**

1-2- تحليل المنظومات البيئية / الزراعية:

لقد نشأ تحليل المنظومات البيئية / الزراعية وتطور فى تايلاند فى 1978م وما بعدها. وبدأ هذا العمل غوردون كونواى وزملاؤه فى جامعة تشانغ هاى (غيبمانتاسيرى وآخرون 1980) وانتشرت الطريقة أولاً فى جنوب شرق آسيا، ثم انتقلت إلى أماكن أخرى فيما بعد. واستناداً على النظم والمنظور الأيكولوجى، فقد مزجت الطريقة بين تحليل النظم وخواصها (الإنتاجية، الثبات، الاستدامة والمساواة) كما قامت الطريقة أيضاً بتحليل أنماط المكان (بالخرائط، وبرسم القطاعات) والزمن (التقويم الموسمى واتجاهات المدى الطويل) والانسياب والعلاقات (رسومات الإنسياب والسببية، والمستمر، والعارض، ورسومات ڤن وغيرها) والقيم النسبية (الرسوم البيانية لمصادر الدخل النسبية ... الخ) والقرارات (أشجار القرارات وغيرها من رسومات القرارات). وقد تطورت الطريقة بدرجة أكبر عن طريق كونواى، وآخرين، بالتعاون مع برنامج أغاخان للدعم الريفى، فى (باكستان) للتطبيق بتكلفة قليلة فى قرى فى شمال باكستان، حيث اتخذت الطريقة شكلا أدى بسرعة إلى تحديد، وتقييم متطلبات العمل.

لقد بلغ أسلوب تحليل المنظومات البيئية / الزراعية درجة من القوة والقابلية للتطبيق مما مكنه من التلاؤم بسهولة مع الـ PRA والاسهام فى إثرائه. وفى بعض الحالات أصبح المصطلحان (القوة، وقابلية التطبيق) يطلقان على وصف ما تم من عمل. وفيما يلى بعض الإسهامات الهامة لتحليل المنظومات البيئية الزراعية للـ RRA والـ PRA :

- **دراسة القطاعات. (جولات منتظمة مع المشاهدة) .**

- رسم الخرائط فى الموقع .
- تبيين الرسومات (الروتين الموسمى، الرسومات الانسيابية والسببية، الرسومات البيانية، (رسومات فن أو تشاباتى).
- تقييم الابتكار (محصل التدرج للانشطة المختلفة).

3-1- علم الأجناس التطبيقى

يهتم علم الأجناس الاجتماعى بأشكاله التقليدية بتفهم الأحوال الراهنة أكثر من اهتمامه بالمتغيرات. وفى الفترة الأخيرة، وخاصة فى الثمانينات تم الاعتراف بعلم الأجناس التطبيقى، وعلم الأجناس التموى، كنشاطين مقبولين ومفيدين وقد تمكنت فئة قليلة من علماء علم الأجناس الاجتماعى من اختراق مراكز البحوث الزراعية العالمية، وكان أثرهم كبيراً برغم قلة عددهم، كما أن علماء الاجتماع فى وكالات الإغاثة ازدادوا عددا وارتفعت مكانتهم.

لقد كان أولئك العلماء عوناً لخبراء التنمية فى تفهم اتساع ومصداقية خبرات أهل الريف ومعلوماتهم (انظر مثلاً: (IDS 1979)، بروكنشا، وارين وفيرنر1980) والتمييز بين الغرباء، وأهل المنطقة ، فيما يختص بالتكوين الثقافى، والإجتماعى، والنظرة العامة للعالم. إن كتاب فن "الإستطلاع الزراعى غير الرسمى 1989 " الذى ألفه روبرت رودز، عالم الأجناس فى المركز العالمى للبطاطس فى بيرو، وجد رواجاً واسعاً، وأثر تأثيراً كبيراً ، رغم طريقة إخراجه المتواضعة .

لقد تمت الاستفادة من طرق علم الأجناس الاجتماعى فى أساليب «التقييم السريع للأعراق البشرية (RAB) ،وفى مجال الصحة والتغذية

(سكريمشو وهورتادو 1987)، وفى التقييم السريع للأعراق الإثنيه (REA) (بينتلى وآخرون 1988)، حيث استخدمت وسائل الحوار، والملاحظة والمقابلات شبة المنظمة، بالإضافة إلى المجموعات المختارة.

إن الـ PRA يمثل امتداداً لمدركات علم الأجناس الإجتماعى، ووسائله، وطرقه، بعد ربطها مع غيرها من المفاهيم والوسائل والطرق، ومن بين هذه المفاهيم والمساهمات فى علم الأجناس الاجتماعى أو المشتركة معه ما يلى:

- **فهم التعلم الميدانى وحتمية أن يتصف بالمرونة، فهو ليس علم جامد.**
- **أهمية الإقامة فى ميدان البحث والملاحظة المتأنية بالمشاركة والتخاطب.**
- **أهمية الاتجاهات والسلوك والتواصل .**
- **مصداقية المعرفة التقنية الفطرية .**
- **التمييز ما بين الغرباء والسكان المحليين .**

4 -1- البحوث الميدانية فى أساليب الزراعة :

إن البحوث الميدانية فى أساليب الزراعة، سواء قام بها باحثو علم الأجناس أو الجغرافيون أو علماء الاقتصاد الزراعى، أو علماء الأحياء. قد بيَّنت تعقد الأساليب الزراعية، التى تبدو وكأنها عشوائية، غير منظمة، وأوضحت أيضاً أن هذه الأساليب تتصف بالتنوع، والموضوعية. وقد أبرز عدد من الكتاب سلامة وصواب بعض تلك الأساليب، مثل

تنويع المحاصيل (نورمان 1975) وهم بيلشو فى ماكريرى فى عامى 1960، ودافيدنورمان ورفاقه فى جامعة أحمد وبيللو فى نيجيريا الشمالية فى 1970، وريتشارد هاروود فى تايلاند (هاروود 1979). وقد طور البحث الميدانى فى أساليب الزراعة طرق جمع المعلومات، واستيعاب تعقد وتشابك هذه الأساليب، والعمل على إصلاحها، ولكنه كان فى بعض الأحيان ، يغرق فى خضم الاستطلاعات الضخمة المملة، والبيانات الكثيرة .

وهناك منحى بحثى مشابه جذب الانتباه إلى قدرات المزارعين: مثل الأبحاث التى قام بها ستيفين Biggs المسماة " *البحوث والتنمية التلقائية*" (1980) ورولاند بنش فى كتابه " *سنبلتان من القمح*"(1985) وبول ريتشاردز فى كتابه "الثورة الزراعية الذاتيه" (1985) وكان هؤلاء جميعاً من بين الذين أثبتوا أن المزراعين يستطيعون القيام بالتجارب الزراعيه؛ وأصبح إشراك المزارعين فى البحوث الزراعية نقطة ارتكاز كما ذكر البعض (فارنفتون 1988 ؛ فارنفتون ومارتن 1988 ؛ تشامبرز، باسى، وثروب 1989 ؛ آشبى 1990) وما قام به المزارعون من جهد فى تحليل الرسومات الإنسيابية (لا يتفوت وآخرون1991). وفى أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات، تزايد الاقتناع بأن المزارعين يجب أن يلعبوا دورا أكبر فى البحوث الزراعية وأنهم قادرون على ذلك. كما أسهمت أيضا البحوث الميدانية الزراعية فى تفهم وإدراك ما يأتى :

- **درجات التعقيد، والتنوع والتعرض للمخاطر بالنسبة للكثير من أساليب الزراعة.**

- المعرفة، والكفاءة المهنية، والتفكير السليم، لدى صغار المزارعين والفقراء منهم.
- النهج والسلوك التجريبى لدى المزارعين.
- القدرة على القيام بتحليل معلوماتهم بأنفسهم .

1-5- البحث الريفى السريع RRA

لقد نشأت فلسفة الـ RRA وطرقها ووسائلها فى أواخر السبعينات. وكانت هناك أنشطة موازية فى أجزاء مختلفة من العالم تبحث عن طرق أجدى يقوم بها الغرباء للتعرف على الحياة الريفية وأحوالها . ومن بين هذه الأنشطة، ورش العمل التى أقيمت فى الـ (IDS) عن التنمية الريفية "السياحية" (1977) وعن الخبرات والمعلومات الذاتيه المحلية (1978) وعن الـ RRA نفسه (1979, 1978) . ويمكن أن نعتبر أن للـ RRA ثلاث مصادر:

المصدر الأول

هو رفض تحيزات خبراء التنمية للريف، وعلى الأخص تخوفهم من التعرف على حالة الفقراء فى الريف، حيث يقومون بزيارات خاطفة "سياحية" للأرياف من مواقعهم فى المدن، وكان هؤلاء الخبراء يقصرون زياراتهم على الأماكن القريبة من المدن، والواقعة على الطرق، أو أواسط القرى مع إهمال أطرافها، ويكتفون بزيارة مواقع المشاريع بمعاونة السلطات الرسمية، ويقابلون الرجال دون النساء، والصفوة دون البؤساء، والمستفيدين من الخدمات، دون المحرومين منها .

ويختار الخبراء فصول الجفاف والشتاء لزياراتهم، بدلا من الفصول

المطرية، شديدة الحرارة، والتى يعانى منها فقراء الريف، ويتحاشى هؤلاء الخبراء طلب زيارة الفقراء، خوفا من أن يسببوا للمسئولين حرجا لدى مشاهدتهم لأحوال الفقراء ومعيشتهم القاسية، ويؤدى كل هذا إلى إخفاء أسوأ معالم الفقر والحرمان .

المصدر الثانى

هو خيبة الأمل فى أسلوب استبيانات الاستطلاع ونتائجها، وقد اتضح من التجارب، عبر سنين طويلة وفى أماكن مختلفة، (انظر موريس1970 مثلا)، إن هذه الاستبيانات يطول إعدادها، وتؤدى إلى الضجر والملل، وتشكل صعوبة بالغة فى إدارتها ومعالجتها وكتاباتها، كما تتسم بعدم الدقة فى البيانات، والمعلومات، التى تجمع عن طريقها، وفى النهاية ، تأتى التقارير المبنية عليها (إذا كانت هناك تقارير)، طويلة، ومتأخرة ومضللة، وصعبة التطبيق ـ وأخيرا تهمل على أى حال !

المصدر الثالث

كان هذا المصدر أكثر إيجابية، إذ تم البحث عن طرق للتعلم أكثر كفاءة، وقد ساعد على هذا الاتجاه، اعتراف خبراء التنمية المتزايد بالحقيقة الواضحة للعيان.. وهى أن أهل الريف أنفسهم يعرفون الكثير عن العديد من القضايا التى تتعلق بحياتهم. كما أن العبارة ذاتها قد وجدت مكانتها، والتى عرفت فيما بعد "المعارف التقليدية" "Indiginous Knowledge" . (ITK) (IDS 1979). (بروكنشا، وارن وفيرنر 1980)، ولاقت اعترافا وتقديرا لما اتسمت به من مضامين ثرة، وفائدة عظيمة، من الناحية العملية، وكان السؤال الذى بدا هاما آنذاك هو: كيف يمكن الاستفادة بطريقة فعالة من هذه الخبرة كمصدر

للمعلومات، لكى يقوم الخبراء (الغرباء) بتحليلها، ووضعها فى الاعتبار.

ومع ذلك نجد فى أواخر السبعينات أن معظم هؤلاء الخبراء الذين كانوا يقومون باستنباط وسائل أسرع، وأكثر كفاءة من الإستبيانات «المحترمة» نجدهم لايرغبون فى الكتابة عن أعمالهم، خوفا على مصداقيتهم ، وسمعتهم العلمية. إذ وجدوا أنفسهم مرغمين على مسايرة النظم الاحصائية، (مهما كان تطبيقها فجاً وباهظ التكلفة). وطرق التصنيف والقياسات المعروفة فى تقاريرهم ومنشوراتهم. وقد أوضح مايكل كولينز، 1981 فى تصريح شهير له: أنه لن يحتاج لأكثر من أسبوع، ليتعرف على أولويات البحوث الزراعية غير أنه يشعر بأنه مرغم على اتباع ذلك باستطلاع رسمى يثبت النتائج التى توصل إليها، ليبرر الإلتزام المالى والمهنى للعمل. وهذا العمل الأكثر تكلفة، كان دائما يؤكد أن الأستطلاع البحثى السريع أكثر واقعية، ولكن "الأرقام التى يوفرها الاستطلاع الرسمى، هى الدليل الوحيد القاطع فى عملية التحقيق. وهذا بدوره يشكل أهمية قصوى لأولى الأمر! "وكان على الباحث أن يساير النظم القديمة ليقنع المسئولين إلا أن العملية كانت باهظة التكلفة، كما أنها أدت إلى تأخر اتخاذ القرارات والتدابير العملية.

تغير هذا الوضع تغيراً جذريا فى بعض المناطق فى الثمانينات. إذ وجدت مجموعة الطرق والوسائل المعروفة بالـ RRA قبولاً متزايداً. وأتضح للباحثين أن هذه الطريقة لها أسسها ومبادئها الخاصة بها وتتميز بحيوية (تشاَمبرز 1980، بيلشو1981، كاروثرز وتشامبرز1981). وفى أوائل الثمانينات ثبت أن منهج الـ RRA شديد الكفاءة، خاصة فى

عمليات الحصول على المعلومات فى الوقت المناسب.. ورغم ذلك ما زال هناك شعور واضح بأن طريقة الـ PRA تأتى فى المرتبة الثانية: بيد أنه بحلول منتصف الثمانينات بدا أن أساليب الـ RRA ، عندما تستخدم بالطريقة الصحيحة، تعد الأفضل فى الحصول على المعلومات المفيدة، كماً ونوعاً والتى ليس من الممكن الحصول عليها بالوسائل التقليدية، وعند مقارنة الـ RRA بالطرق التقليدية، ثبت أن الـRRA يفوق الطرق التقليدية فى الكفاءة ، والمصداقية إلا إذا لم يستخدم بطريقة متأنية ولم يخضع للنقد الذاتى. (انظر الفصل رقم 8).

وقد أثبت أسلوب الـ RRA فى تطبيقات كثيرة ولأغراض مختلفة، بأنه ليس فى المرتبة الثانية من حيث الفعالية، بل هو الأفضل إذا استخدم بالطريقة السليمة .

وقد أسهم العديد من الباحثين والمؤسسات فى تأسيس طرق الـ RRA ومبادئه ولا يمكن لأى راصد أن يفيهم حقهم، وفى ذات الوقت لا مفر من أن نتهم أنفسنا بالتقصير فى حالة عدم الإشارة إلى البارزين منهم، بسبب نقص المعلومات وشحها. وقد كانت هناك محاولة مبكرة لحصر البلاد التى تطور فيها الـ RRA ، وقد أشارت بالفعل إلى12 دولة أفريقية، و 8 دول فى جنوب آسيا وجنوب شرق آسيا،و3 دول فى أمريكا اللاتينية، و3 فى استراليا، والباسفيكى ، وواحدة فى أوربا .

قد يرجع الفضل الأول فى ادخال الطرق الجديدة وتأسيس المصداقية إلى التحليل الزراعى / البيئى الذى قام به الباحثون فى جنوب شرق آسيا، ففى أواسط الثمانينات، كانت جامعة «خون كين». فى تايلاند سباقة فى تطوير النظريات والطرق، خاصة فيما يتعلق بفريق

البحث متعدد التخصصات. وفى تأصيل الـ RRA وإعطائه صبغة شرعية كجزء من التدريب المهنى. ومن أبرز المبادرات فى هذا المضمار المؤتمر العالمى المهنى. عن الـ RRA الذى أقيم فى جامعة «خون كين» عام 1985 وما تبعه بعد ذلك من مطبوعات (KKU 1987). إذ أكد المؤتمر أهمية الـ RRA من الناحية العملية، كما أبرز الخطوط العريضة للمبادئ التى بُنى عليها (بيب 1987، جبيس1987، غراند ستاف1987 وغراند ستاف) وفى أواخر الثمانينات حدث تطور فى تطبيق أدوات الـ RRA من الناحية العملية إلى أقصى مستوى، وانتشر عن طريق التدريب الموسع الذى قام به المعهد العالمى للبيئة والتنميةIIED فى لندن، بالاشتراك مع زملاء معظمهم من أفريقيا وآسيا، كما كان للنشرات (وخاصة النشرة غير الرسمية المسماة «مذكرات RRA - 1988» دورها فى نشر هذا المنهج .

وكانت هناك أيضا تطورات صاحبت مجال الدراسات المتخصصة، حيث طبقت أساليب الـ RAP فى مجال الصحة، والتغذية، على سبيل المثال، فى عشرين دولة على الأقل (سكريمشو وهورداتو 1987) وفى مجال الزراعة، قام بعض العاملين فى مجال الأبحاث الزراعية، والإرشاد الزراعى، بمبادرات لاستخدام وسائل بسيطة، وسريعة شبيهة بطرق الـ RRA. وفى مجال الرى تجمعت بعض المطبوعات عن الـ RRA (بوتين 1985، غرويفلد 1989 ... وآخرين).. كما أن المجلات الكبرى قد نشرت أيضا أوراق عن الـ RRA.

لقد كان الـ RRA ولا زال خير وسيلة للفرباء للتعلم، والسؤال هنا.. خبرات ومعلومات من هى الأهم؟ والإجابة المباشرة تقول: أن الـRRA سعى، ولا زال يسعى لتمكين الغرباء من الحصول على المعرفة، والتعرف

على الريف من أهل الريف انفسهم، بسرعة، وكفاءة عالية، وتكلفة قليلة.

إن هذه الطريقة الـ RRA كانت ولا تزال أقل استغلالا لأهل الريف مقارنة بطرق إستخلاص المعلومات بالاستبيانات الاستطلاعية، حيث يتحصل الغريب على الكثير، ولا يقدم شيئا فى المقابل. ومع ذلك فإن طرق الـ RRA العادية، مثلها مثل البحوث الزراعية فى الماضى، تقضى بأن يتحصل الغرباء على المعلومات، ويأخذونها معهم، ويحللونها، معتمدين على وجهة نظر الباحث، وإطار البحث، وموضوعه، فالتطبيق العادى للـ RRA دون مشاركة يمكن أن يوصف بأنه "استخلاصى"، وإذا كان الباحث محايدا يمكن وصفه بأنه "استنباطى".

2- من الـ RRA إلى الـ PRA

ابتداء من أواسط الثمانينات، دخلت مصطلحات «المشاركة» «وبالمشاركة» فى معجم الـ RRA وكان للمصطلحين تاريخ طويل فى التنمية الريفية، ونذكر مثالين فى السبعينيات والثمانينات، تحت قيادة نورمان أيهوف وآخرين، وكانت جامعة كورنويل قد بدأت فى أصدار مجلة: "دراسة المشاركة فى التنمية الريفية"، واستمرت هذه المجلة حتى توقفت الجهة المانحة عن دعمها وكانت كلمة «المشاركة» تتردد فى مقالات المساهمين فى كتاب مايكل كيرينا، المسمى "الشعب أولاً"1985، الذى نشره البنك الدولى.. وقد استفاد الكتاب من تجارب السنين السابقة. وبدأ استخدام كلمة "المشاركة" ببطء فى الـ RRA فى مؤتمر جامعة خون كين العالمى 1985. وقد أسفرت مناقشات المؤتمر عن تصنيف الـ RRA إلى سبعة تصنيفات (KKU 1987 -17) وكان

الـ PRA بالمشاركة هو واحد منها. وكان الهدف الرئيسى من ذلك هو ترقية وعى المجتمع، على أن يلعب الغرباء دور الوسيط والمحفز. وفى عام 1988، أدرجت بحوث الـ RRA فى قوائم الـ IIED كواحدة من أربع طرق تم تصنيفها، وصنفت الثلاث طرق الأخرى بأنها بحوث اسكتشافية،وموضوعية، ورصدية (ماككر اكين وآخرون 1988).

وفى عام 1988، ظهرت تطورات مشابهة فى كينيا والهند. ففى كينيا، قامت الأمانة القومية للبيئة، بالتعاون مع جامعة كلارك، بتطبيق RRA فى أمبوسانى، وهى جماعة من السكان تقيم فى مركز ماكاكوس، وقد أدى ذلك إلى إصدار خطة لإدارة موارد القرية فى سبتمبر من نفس العام (كابوثا وفورد 1988). وتم صدور كتابين، وتلا ذلك تسمية البحث "بالتقييم الريفى بالمشاركة"PRA (بيد، الأمانة القومية للبيئة 1989، الأمانة القومية للبيئة 1980). وفى ذات الوقت ابدى برنامج أغاخان للدعم الريفى (فى الهند) اهتمامه بتطوير الـ RRA بالمشاركة ودعىIIED لتقديم العون له.

فى سبتمبر وأكتوبر فى عام 1988 كانت الباحثة جنيفر تعمل مستشارة لمدة 4 أسابيع مع AKRSP فى غوجارات أثناء قيام AKRSP بعمل تطبيق بحوث فى الـ PRA للقرويين وبمشاركتهم فى قريتين (ماككراكين 1988). إن تجارب كينيا والهند كلاهما، ومن زوايا مختلفة، تشكلان أساسا لتتبع وتفهم تطور الـ PRA، إذ تبع ذلك انفجار فى الإبداعات فى الهند خاصة فى قطاع الجمعيات غير الحكومية، (ولكنه ليس قاصراً عليها). (انظر نشرات13:PRA) إذ قامت مؤسسة MYRADA التى تقع رئاستها فى بانغالور، بتدريب عامليها

فى الـ (PRA) فى أوائل1990 (رامـا شـاندران1990) ثم أخـذت تلعب دورا كبـيـرا فـى تدريب كـوادر الجـمـعـيـات غـيـر الحكومـيـة الأخـرى، والحكوميـة أيضـا. وواصلتAKRSP إبداعـاتهـا، لتـفـتح أبوابا جـديدة لإبراز قدرات متطوعى القرى فى قيامهم بدور المعاونين بأنفسهم فى الـ PRA، وقامت منظمـة المسـاعدة بالعـمل فى بانغـالور، بدور تقـديم خدمات الاتصال، وحصـر الجمعيات، غير الحكومية، التى كانت رائدة فى المراحل الأولى، وهى: المساعدة بالعمل فى بانغالور "المناضلون من اجل البدائل الاجتماعية" تريش، برنامج أغاخان للدعم الريفى (الهند)، كريشى غـرام فـايكاس كيندرا، رانشى ميـرادا ، بانغـالور، سيـفـا باراتى، مركز ميدنايور، سبيتش، مادورى، والشباب من أجل العمل، حيدراباد.

أمـا المنظمـات الحكوميـة التى تلقت تدريبـا أو شـجـعـتـه فـتـشـمل: مـجلس تطوير الأراضـى القـاحلة، كـارناتاكـا، وكـالات تنمـيـة المناطق الريفـيـة، اندرابراديش، وبعـضـا من أقسـام الزراعة. وقـد اسـتـخـدمت الأكـاديمـيـة القـومـيـة للإدارة فـى مـسـورى طرق الـ PRA فـى العـمل الميدانى لتدريب 300 إداريا هنديا كل عام، وكذلك استخدم معهد زافير للخدمات الأجتماعية فى رانشى الـ PRA فى العمل الميدانى الخاص بطلبته. وفى نفس الوقت، ظل التأثير المتبادل، والإنتشار، يحدثان على نطاق العالم. وكانت المجموعة الصغيرة التى تعمل فى برنامج الزراعة المستدامة التابع للـ IIED بالتعاون مع مؤسسة فورد، ذات أثر فعال فى افريقيا وآسـيا إذ نشـرت الـ PRA وطرقه فى 30 ورشـة عمل تدريبية تسـتند على العمل المـيدانى فى 15 قطرا وكـذلك أصدرت الكتـيبـات النشـرات، وعلـى الأخص «مـذكرات الـ PRA التى سـاهمت فى نشـر الـ

PRA. والعديد من المراشد من تأليف (ماككر اكين واخرون1988، غاى وفرودينبير غر1990،1991، ثايس وبرادى1991).أما فيما يخص المنظمات غير الحكومية العالمية، فقد كانت منظمة «التعاون العالمى» (بيرن) و«المساعدة بالعمل» (لندن) من أبرز المنظمات الداعية لنشر الـ PRA وقد انتشر فعلاً من الهند إلى نيبال بمبادرة من منظمة «وينروك العالمية» وانتشر إلى سريلانكا بمبادرة من منظمة «التعاون العالمية». وفى عام 1992 استضافت كل من منظمات «المساعدة بالعمل» وميرادا AKRSP ورشة عمل لـ 14 مشاركا جاؤوا من11 قطرا من الجنوب واستمر الـ PRA وما شابهه من أنشطة فى التطور بطريقة مستقلة فى كل قطر. ونجد فى الجدول أدناه مقارنة مختصرة بين الـ RRA و الـ PRA.

الجدول رقم ١ : مقارنة بين الـ RRA و الـ PRA .

	RRA	PRA
فترة التطور الهامة	أواخر السبعينات والثمانينات	أواخر الثمانينات والتسعينات
أهم الإبداعات ظهرت فى	الجامعات	المنظمات غير الحكومية
أهم مستخدمى الطريقة:	وكالات الإغاثة . الجامعات	المنظمات غير الحكومية . المنظمات الحكومية
المصادر الأساسية التى أهملت سابقا	معلومات وخبرات الأهالى المحليين	قدرات الأهالى المحليين
أهم الإبداعات	الطرق	السلوك
الطرق السائدة	استنباطية استخلاصية	تعاونية . مشاركة
الأهداف المثالية	تعلم الغرباء	تمكين الأهالى المحليين
الناتج على المدى البعيد	خطط المشاريع . دوريات	عمل محلى ومؤسسات مستدامة

والآن، وفى أواسط عام 1992 تنتشر أنشطة الطرق المسماة الـ PRA بسرعة فائقة، وقد حان الوقت لتوثيق أسس ومبادئ الـ PRA طرقه، وسائل تطبيقه، منابع قوته، ضعفه، إمكاناته ، ومغزى الطفرة النوعية التى أحدثها .

3-تعريف الـ PRA

كثيرا ما يثار الجدل حول ضرورة تعريف الـ PRA بعيداً عن الـ RRA فهنالك من يرى عدم ضرورة التصنيف، إذ توجد وفرة من المصنفات لطرق ووسائل التعلم فيما يخص الحياة والظروف فى الريف، وكثيرا ما تتداخل مجموعات التطبيق، كما أن هناك إبداعات مستمرة، ومتبادلة، ومشتركة، وعليه فأن الأهمية الوحيدة لهذا التصنيف تكمن فى الإحساس بالكيان، والشعور بالإنتماء، الذى يعطى الممارس دفعة الإخلاص فى العمل ومن ثم الخروج بأفضل النتائج . لهذا فإننا لا نجد أى معنى لأن نضع تعريفا محددا لأى نشاطات لها علاقة بالـ PRA أو أى مجموعة أخرى من الوسائل أو الأساليب والطرق المشابهة.

إن النظرة المخالفة للرأى السابق، توضح أن الـ PRA الجيد، دائما ما يعنى ويتضمن تغييرات جوهرية على المستويين الشخصى والمؤسسى. وعليه فاستخدام المصطلح لابد أن يكون واضحا وبحجم ذلك المعنى، ومن هنا فإن النظر إلى طريقة الـ PRA على أنها أسلوب بسيط (بيد ونيس1989) فيه إجحاف ومجافاة للحقائق، إذ إن التغيير الشخصى، والمؤسسى، ليس من السهل حدوثه، بالإضافة إلى أنه إذا ما صار الـ PRA «موضة» فإن الكثيرون سيصنفون كل عمل لهم بأنه PRA بينما الحقيقة تقول، أن هذه الأعمال تقع فى دائرة الاستنباط، أكثر من كونها بالمشاركة، وأن سلوكهم وتصرفاتهم تظل كما هى لا تتغير .

إن مصطلحى الـ RRA والـ PRA بثرائهما ، وباتخاذهما أشكالا مختلفة فى المواقع المختلفة بعيدا عن جمود المصطلح ومع ذلك

فالتسمية تساعد ـ على تعريف وتوضيح طبيعتهما، وانتماءاتهما، وهذه الخطوة تقود بدورها إلى المزيد من التجويد فى الأداء.

ومن المعلوم أن التصنيف السابق لتجارب الـ RRA يفيد بأن العمل موصوم دائما بالفجاجة وعدم الإتقان (انظر على سبيل المثال إلى نقد تجربة الـ RRA التى نفذت فى زامبيا، وبوتر 1991 ,1991، وبعض الملاحظات، والتعليمات لإعادة النظر فى تطبيقه فى الفلبين، (فان أست يلجن 1991).

لهذا فإننا ندرك تماما وجوب التفريق بين الطريقتين الـRRA والـ PRA إذ أن الـ RRA هى طريقة لجمع المعلومات بواسطة غرباء، هم الذين يأخذون المعلومات بعد جمعها، ويدرسونها، ثم يحللونها، بعيدا عن افراد المجتمع. أما طريقة الـ PRA فهى تعنى جمع المعلومات عن طريق المشاركة، حيث أن الغريب يلعب دور الوسيط والمشجع، والمحفز لأفراد المجتمع ليساعدهم على تقييم ودراسة قضاياهم، ومن ثم فحصها وتحليلها. ومن ذلك يتضح لنا أن الـ-RRA، يعنى بالضرورة، تعلم الغرباء فقط بينما الـ PRA يرمى إلى مساعدة افراد المجتمع المحلى، للقيام بتحليل أوضاعهم ووضع خططهم، ومن ثم تنفيذها.

وعلى كل حال ينبغى لنا أن نذكر هنا أن هنالك صلة بين الـRRA وبين الـ PRA. مثلا هناك طريقة المشاهدة المباشرة، التى هى احدى وسائل الـ RRA ، وكذلك المقابلات شبه المنظمة، والتى من الممكن أن تلعب دورا هاماً فى الـ PRA، وبالمثل فإن رسم الخرائط الجماعى حيث نجد إن افراد المجتمع المحلى يقومون بتوضيح الموقع بأنفسهم ،وأن أى فرد منهم له دور ما عند تطبيق طريقة الـ RRA.

4 -القواعد الأساسية للـ PRA

إن الأداء الجيد لمطبقى الـ RRA والـ PRA، والمعاونين الغرباء، يتطلب اتباع القواعد الأساسية للأسلوبين، والتى نجد أن بعضها مشترك ، أما البعض الآخر، فيقتصر وجوده على الـ PRA فقط. الجدول أدناه لمزيد من الإيضاح .

	RRA	PRA
الأسلوب	استنباطى واستدراجى	مشاركة وتمكين (محفز)
الدور الخارجى	متحرين	↔ ميسرين ومعاونين
المعلومات المتحصلة تحلل تستخدم بواسطة	الغرباء	↔ المجتمع المحلى
الأسلوب المتبع (الطريقة)	RRA	↔ PRA

وما يجدر ذكره هنا، أن معظم هذه الأساليب، «استنباطيه» وليست «استنتاجية»، تم التوصل إليها، من خلال التجريب الميدانى. وتضم قائمة المستخدمين للطريقتين أساليب مختلفة انظر: (جراند استاف، جراند استاف وفليس9-13-1987) (ماككراكين، برنى وكونوا (-1990 12 -13، قاى، وفريدن بيرجر، 10 - 19 - 1990) . وقد اتفق معظمهم على تضمين الاتى من الأسس:

أ . الأسس المشتركة بين الـ RRA والـ PRA.

التعلم العكسى

وذلك من خلال التعلم من أهالى الريف مباشرة، وفى مواقعهم واكتساب المعرفة. من الخبرة والتقنية المحلية.

التعليم السريع والمتواصل

من خلال البحث الواعى والأستخدام المرن للأساليب والأستفادة من الفرص المتاحة، الارتجال، والتكرار والتحدى وعدم التقيد بجدولة محددة بل الاعتماد على منهج يمكن تنفيذه وتبنيه.

تجنب التحيزات

خاصة تلك التى تتعلق "بالسياحة الريفية" مثل التعصب والتسرع، عدم الاستماع ومحاضرة الناس، عدم التحقق ثم والقفز إلى خطوات أخرى ، التعالى، وعدم البحث عن الفقراء ومحاولة معرفة همومهم وأولوياتهم.

تفعيل المعرفة

وذلك بربط قيمة التعلم، بصحة المعلومات وفائدتها، مع الموازنة والربط بين الكمية، ومدى صلتها بالمطلوب من الدراسة، وحجم دقتها وتوقيتها. بالإضافة إلى الاعتراف، بمبدأ محدودية معرفتنا، والسعى الجاد لمعرفة المزيد المتاح ، من خلال الإنطباع الحقيقى، دون «مكابرة» فى ذلك. وكما يقول كينس **"من الأفضل أن تكون قريبا من الصواب لا أن تكون على خطأ تام"**.

التدقيق الثلاثى

وذلك يعنى، أن يستخدم الباحث، ثلاث وسائل ، أو أكثر للتأكد من

المعلومات ومدى صحتها، (فريق الباحثين، تنوع مصادر المعلومات، تنوع الأساليب، وتنوع أدوات البحث (انظر جراند استاف، جراند استاف، ولفلايس قاى، وفرويدن بيرجير) .

البحث عن التنوع

ويعنى ببؤر الاختلاف، والتباين. اكثر مما هو معنى بالمتوسطات (انظر بيبى 4 - 35 1987) وقد وصف فى استراليا بأنه التكثيف، والإكثار من المعلومات للبحث عن التنوع، (دون وماكميلان 58: 1991) ويذهب فى هذا الشأن إلى أبعد من التدقيق الثلاثى، ليشمل العينات التى ليس لها علاقة بالإحصاء. وكتعريف عام له، فهو يبحث، وينظر، ويستقصى، فى المختلف، والمتباين.

ب. مؤشرات إضافية مساعدة فى الـ PRA

يتم التفسير، والاستكشاف، والتحليل، وعرض النتائج، بواسطة افراد المجتمع. حتى يتمكنوا من امتلاك اقدارهم بالتعلم. وهو ما يعرف اصطلاحاً «تمليك الراية» (Handing over the stick) وتتم هذه الخطوة عادة، بمساعدة الباحث لأهل القرية، لتسهيل البداية، ثم يبتعد، ليترك المسئولية لأهل المنطقة .

النقد الذاتى وتحمل المسئولية

وهذا يعنى نقد الميسرين لتصرفاتهم، ومراجعتها وتحسينها قدر الإمكان، بالضرورة يعنى تقبل الخطأ، والتعلم من الأخطاء، والاستفادة منها كفرصة لأداء أفضل، واعمال الحس فى كل الأوقات، وتحمل المسئولية بدلا من التقوقع فى إطار القواعد الجامدة.

تبادل المعلومات والأفكار

ويتم بين سكان الريف والميسرين وكذلك بين الميسرين أنفسهم، وبين المنظمات الأخرى، وذلك أثناء العمل الميدانى، وفى الأمسيات أيضا. ويتم تبادل المعلومات والأفكار أيضاً بين المنظمات المختلفة فى المعسكرات لاكتساب التدريب والخبرة.

كل هذه الأساليب ، من الممكن تطبيقها ، بما أنها ممارسة فى الحياة العادية بواسطة الناس. أما الأساليب المشتركة، بين الـRRA و PRA، فهى إلى حد كبير أساليب نظرية، أما تلك التى تخص الـPRA فتعتمد إلى حد كبير على قدرات الباحث الذاتية وسلوكه أثناء تعامله مع أفراد المجتمع الريفى، الأمر الذى يمكن الاستفادة منه كأداة فى منهجى الـ RRA والـ PRA فى المستقبل .

5 - قائمة أدوات وأساليب الـ RRA والـ PRA

فى مراحل تطبيقه الأولى بدا أن منهج الـ RRA، منظم ومتماسك ومتسق مع فطرة تلك المجموعات، التى يتوجه بكليته إليها. وفى الثمانينات أضيفت إليه أفكار جديدة وإبداعات خلاقة، واستعيرت طرق وأساليب أخرى كثيرة، وتم تبنى، وابتداع البعض الآخر، كما أخذت المشاركة طابعاً أوسع. ولا نجافى الحقيقة إذا ما قلنا أن ملخصاً لرؤوس هذه المواضيع سيعطى انطباعًا كافياً عن الأساليب التى استخدمت فى منتصف عام ١٩٩٢. وكل هذه الأساليب قد تم استخدامها فى الطريقتين، وإن كان البعض قد تم التركيز عليه، فى طريقة دون الأخرى.

المصادر الثانوية

كالملفات، والتقارير، والخرائط، والصور الطبوغرافية، المقالات والكتب .. إلخ.

التجربة الذاتية

محاولة التعلم لأداء بعض المهام فى الريف، كتحويل أو نقل الشتول، وتنظيف الحشائش، الحراثة وتسوية الأرض، جلب الماء، جمع الحطب، غسل الملابس، سقف المنازل .. إلخ

مقدمو المعلومات الأساسيين

وذلك يعنى ذوى الخبرة، اللذين لديهم معلومات ومعرفة بالمنطقة.

المقابلات شبه المنظمة

تعتبر المقابلات شبه المنظمة، الأداة الأساسية فى الـRRA (انظر جراند استاف، 1987). كما لابد من تجهيز قائمة مكتوبة، أو محفوظة فى الذهن، للمراجعة أثناء الحوار، والذى لابد من أن يكون حواراً مفتوحاً، لتقبل المزيد من الأسئلة غير المبرمجة، ومتابعتها.

المجموعات المختلفة والأساليب المتنوعة

(عرضى، معنى، متخصص، تنظيم متعمد، مجموعة، جيران). المقابلات مع الجماعات ، والأنشطة الجماعية المسائية يمكن أن تكون نموذجاً بين الطرق والأساليب المختلفة .

سلسلة من المقابلات

بين مجموعة ومجموعة، أو مجموعة، مع مقدمى معلومات أساسيين، (معلم، مرشد زراعى، زائرة صحية، قابلة، .. إلخ) فى

المراحل المختلفة من العمل، (مثلا الرجال فى مرحلة الحراثة، والنساء فى مرحلة الغرس والنظافة.. وهكذا) .

تبادل الأدوار، فى هذه الحالة، يقوم أفراد القرية بدور الباحثين، والمتحرين، بما فى ذلك «النساء، الفقراء، أساتذة المدارس، المتطوعين، الطلاب، الفلاحين» يقوم كل هؤلاء، باستعراض المشكلات العامة، أو المشكلة المحددة، مشاهدتها، إجراء المقابلات مع الآخرين من أهل القرية، تحليل المعلومات التى تم جمعها وعرض النتائج النهائية.

إعداد الخرائط بالمشاركة ووضع النماذج

فى هذه الحالة يقوم الأهالى باستخدام الأرض، أو الورق، لعمل بيان اجتماعى صحى، وإحصاء سكانى، للموارد الطبيعية، (تربة، أشجار وغابات، مصادر مياه.. إلخ) أو بيان خرائط للمزارع، أو مقطع عرضى للقرية، توضح فيه طبيعة التربة، والنشاط الأقتصادى.

التحليل الجماعى للصور الجوية

من المستحسن إن يكون مقياس الرسم فى هذه الخرائط 1:5000 حتى تتسنى معرفة نوع التربة، خصائصها ونوع ملكية الأرض .. إلخ

الجولات الاستعراضية

وهى جولات منظمة مع مقدمى المعلومات الأساسيين فى المناطق المختلفة، (مع الاستفادة من أدوات، الملاحظة، الأسئلة، الاستماع، والمناقشة)، للتعرف على التقنية المحلية، والمتقدمة، وتحديد المشاكل والمعوقات، وتخطيط الخرائط وتبيين الموارد والمواقع عليها، ثم تختم بعرض النتائج، ومحاولة إيجاد فرص الحلول .

الأنماط الزمنية

وهى وضع قائمة بالأحداث التاريخية، فى القرية حسب تسلسلها الزمنى، بقدر الإمكان، أو بتواريخ تقديرية .

تحليل مسار الأحداث

حصيلة سرد أفراد القرية للماضى، وكيف تغيرت الأشياء من حولهم، تاريخ البيئة، التغير فى التربة، ونوعية النباتات، التغير فى العادات والتقاليد، التحول والتغير، فى السكان، الهجرة، الوقود المستخدم، التعليم الصحة، التأمين، والأسباب وراء هذه التغيرات والتحولات.

تعريف السلالات

وذلك بإعطاء نبذة تاريخية، عن تاريخ النباتات المحلية ، الحيوان، الشجر، والآفات ..إلخ .

الروتين الموسمى

ويشمل بيان الموسم الرئيسى، أو بيان شهرى يبين الأيام وتوزيع الأمطار وكميتها، الرطوبة، المحاصيل، النشاط الزراعى، العمالة غير الزراعية، نظام الغذاء، استهلاك الطعام، أنواع المرض، علف الماشية، الوقود، الأسعار، الهجرة، الدخل والمنصرفات، الديون .. إلخ .

تحليل المعيشة

ويشمل، الاستقرار، الأزمات والقدرة على التأقلم معها، تدهور الدخول، منصرفات المعيشة، الإدخار، الديون .. إلى آخر النشاطات اليومية.

الرسومات البيانية بالمشاركة

ويوضح فيها الناس بياناتهم الخاصة بالفيضانات، الكوارث، المقادير، الميول، التدرج، الهيكلية، الأهداف .. إلخ. وتشمل نظام البيان نفسه وأنواعه وكمثال لذلك، البيان المستطيل، والبيان الدائرى، وبيان شاباتى، وهو المسمى أيضاً باسم بيان فن والذى ساعد على معرفة الأفراد والمؤسسات فى المجتمع وعلاقتهما ببعضهما البعض.

التدرج حسب الثروة

وذلك لتوضيح التقسيم السكانى، حسب الوضع الاقتصادى لأفراد المجتمع. بما فى ذلك حالة أشد الناس فقراً (انظر نشرة RRA: 15).

تحليل الفوارق

خصوصاً ما يتعلق بالنوع (ذكر/ أنثى) المجموعات الاجتماعية، الثروة والفقر، العمر.. ،وهذا بالتأكيد يبين الفرق بين المجموعات، بما فى ذلك مشاكلهم وأولوياتهم. كما يشمل أيضاً مقارنات مختلفة، ومتباينة، وسؤال البعض عن آخرين (وهل هم مختلفون فعلاً؟) أو لماذا يقومون بنوعية من الأعمال تختلف عن ما يقوم به آخرون، وبالعكس.

التدرج*

ويشمل ترتيب الأشياء حسب الأولوية فى جداول للمقارنة، من خلال التصنيف، الأشجار المختلفة مثلاً أو التربة، وأساليب رعايتها، مصادر المياه وسبل الحصول عليها، والمحاصيل المختلفة وأسباب

---

* يشمل هذا الشرح ثلاثة أنواع من التدرج ـ التدرج حسب الأفضلية التدرج الجدول المباشر، والتدرج الزوجى. المترجمة.

تفضيل بعضها عن بعضها.

التقديرات والمقادير

كثيرا ما تم ذلك باستخدام آلات ومواد قياس محلية مثل البذور، الكرات الصغيرة، الفواكه، لتقدير الأشياء، أو الحجارة كحواجز، عند تبين النماذج والرسم الجماعى للخرائط .

مؤشرات محلية (مواصفات الثراء عند الفقراء)

القاء الأسئلة التى تقود إلى فتح الحوار فى القضايا الأساسية،مثل: عن ماذا تتحدثون عندما تكونون بمفردكم؟.. ما هى الممارسات التى ظهرت فى القرية حديثاً؟ من الذى مارسها منكم خلال السنة الأخيرة ؟ ما الحيوانات التى تربونها؟ أى أنواع الأشجار تنمو فى هذه المنطقة ؟ ماذا تفعلون حينما يشب حريق فى مسكن أحد أفراد القرية؟ ... إلخ

وحدة الفريق

وهو أن يلتزم الفريق، بروح العمل الجماعى، وما يتطلبه ذلك من سلوك، بما فى ذلك تبادل الآراء. وممارسة النقد الذاتى، وتجنب الانحياز، أمسيات النقاش الهادف المبادرة. (فريق العمل قد يتكون من الغرباء فقط، وقد يكون مصحوباً بأفراد من القرية).

عرض النتائج والتحليل

ويشمل تقديم الخرائط والرسومات، والنماذج المختلفة، عرض نتائج الدراسة، إبداء الرأى ـ وقد يتم عرض النتائج بواسطة الغرباء أو بواسطة السكان أنفسهم .

المشاركة فى التخطيط ووضع الميزانية والمتابعة

وذلك عندما يضع السكان المحليين، خططهم وميزانيتهم، بأنفسهم، مع متابعة البرامج التى تم تخطيطها .

الشحن الذهنى

قد يتم بواسطة السكان المحليين أنفسهم، أو بمشاركة الغرباء. وفى بعض الأحيان يتم بواسطة الغرباء فقط.

الإستمارة البسيطة المختصرة

وهى فى آخر الأمر ملأ أماكن شاغرة فى جداول مصممة مسبقاً، ثبت عند تصميمها بأنها ضرورية .

كتابة التقرير:

وتتم مباشرة، إما فى الموقع، أو بعد الرجوع مباشرة من الحقل، ويقوم بكتابته شخص أو أكثر، ممن يقع عليهم الاختيار بواسطة المجموعة.

6 - الاكتشافات التى تحققت فى مجال الـ PRA

على الرغم من أن منهج الـ PRA قد فتح آفاقا جديدة فى أبحاث التنمية الريفية إلا أن كل مؤرخ يدرك أنه لا جديد تحت الشمس، وما ينظر إليه على اعتبار أنه اكتشافات جديدة، هو عبارة عن إعادة بث الروح لما سبق اكتشافه من قبل، وإننى اعتقد أن هناك اكتشافات، بالرغم من أن بعضها مجرد تسميات جديدة، لاكتشافات قديمة. لمزيد من الإيضاح نجرى مقارنة بين البحوث التقليدية الإستخلاصية وطريقة

الـ RRA. ثم بين الطرق التقليدية الأخرى من جهة، وبين طريقة الـ PRA.

إن من أهم الفروقات بين الطرق الاستخلاصية، وبين طريقة الـ PRA، هو الفرق فى التصرفات، الأداء، لعب الأدوار، والانطباعات، وردود الأفعال. ففى الـ RRA مثلاً ، نجد أن الذين هم من خارج المجتمع أى الغرباء، هم المسيطرون والمستفيدون، إذ يقومون وحدهم بتحديد الاجندة لأخذ المعلومات، ومن ثم اخذها بعيدا عن أفراد القرية لتنظيمها، وتحليلها، ومن ثم كتابة النتائج فى شكل تقارير وملخصات.

أما فى أسلوب الـ PRA فالوضع معكوس تماما حيث إن "الباحث والمحفز" يقوم بعملية التيسير ومساعدة، وتشجيع، وتحفيز، افراد القرية، ليكونوا هم المسيطرين، وهم الذين يضعون الاجندة للعمل، وجمع المعلومات،وهم الذين يعبرون عن آرائهم، وهم الذين يخططون، ويحللون ، فالغرباء فى هذه الحالة ميسرون، مشجعون، مساعدون، طالبو معرفة، ومستشارون فقط. إذ أن نشاط الباحثين يتمثل فى خلق علاقة طيبة بأهل الريف، وتحريضهم، ومساعدتهم، فى اختيار الطرق، والأساليب، بأنفسهم. ودور الغرباء، يقتصر على المراقبة، والاستماع، والتعلم، أن هذا الدور يمكن أن يقال عنه اصطلاحاً. "تسليم عصا الإمارة لأصحابها ".

إذاً وبناء على ما سبق ذكره، فإن القرويين يمكنهم القيام بأشياء كثيرة كان يقوم بها الغرباء نيابة عنهم، مثل رسم الخرائط والنماذج، والقيام بالجولات الاستكشافية للملاحظة، واجراء المقابلات، ورسم

البيانات، وتحليل المعلومات، واختزانها، وعرضها أيضاً. وهكذا يصبح كل شئ بيدهم، مما يمكنهم من، تحديد أو لوياتهم فى العمل، وبالتالى التحكم فى اقدارهم، وفى مستقبل التنمية فى مناطقهم.

اعطت المشاركة فى طريقة الـ PRA ، دفعة قوية، فى تطور الأساليب، والأدوات، فى هذا المنهج. ومن إيجابيات طريقة الـPRA عدم وجود خطة عمل مسبقة، فالمشاركة هى التى تقود إلى التنوع، إذ يقوم القرويون أنفسهم، بدور الاستيعاب، والتطبيق احيانًا، وفى أحيان يقومون بدور ابتكار الوسائل. وكثيراً ما شجع القرويون الغرباء على الارتجال، كما فى الألعاب، وهكذا فإن ما يفعل الآن . قد يكون مختلفا عما سبقه، مما يقود إلى الإبداع والتنوع فى أساليب الـ PRA، وبصورة دائمة. والسنوات الثلاث الماضية فقط (وحتى منتصف عام ١٩٩٢) شهدت إبداعات كثيرة، تجاوزت تجارب نيبال والهند.

وباستعراض كل الأفكار المبتكرة خلال السنوات الثلاث الماضية، يبدو واضحاً أن هناك ست اكتشافات نتناولها فيما يلى:.

6 -1 معارف أهل الريف وقدراتهم

الإكتشاف الأول يتلخص فى أن للقرويين قدرات فائقة ، فى وضع الخرائط والنماذج البيانية، فى مجال التقدير، والرصد، وترتيب الأولويات، وتوضيح المعلومات فى شكل رسوم بيانية، على عكس اعتقادات الغرباء عنهم .

أن من أعظم الاكتشافات هو رسم الخرائط والنماذج (انظر ماسكرنهاش، وكومار 1991). فالتجارب الأولى لرسم الخرائط ذهنياً

كتطبيق عملى جماعى وعام (فول ووايت1974). لم تؤت أكلها إلا حديثا عند القرويين، كما فى الهند وغيرها.

وضح أيضاً أن القرويين فى الجنوب، هم أكثر قدرة على رسم الخرائط ذهنياً، من أهل الحضر فى الشمال، وأنه إذا ما تهيأت الظروف، والمواد المناسبة، فإن بإمكان أهل الريف، رسم هذا النوع من الخرائط بصورة مجسدة على الأرض، أو على الورق كخرائط، أو كنماذج مقطعية. إذ استطاع هؤلاء القرويون، القيام بذلك، فيما لا يقل عن إثنتى عشر ولاية فى الهند، وفى قرى أخرى فى كل من بتسوانا، وبوركينا فاسو (هاهن، ١٩٩٠) ساحل العاج، اثيوبيا، ناميبيا، هندوراس، كينيا، نيجيريا، باكستان الفلبين، السنغال، سيريلانكا، تترانيا، فيتنام، زامبيا وزيمبابوى. فقد قام أهل القرى بتلك الدول، باعداد هذه الخرائط، وبتوضيح المساكن عليها كنوع من الخرائط الأجتماعية، أو بتبين المواقع الجغرافية، المحيطة بالقرية، كخرائط لتبيين الموارد، أو بالجمع بين الفكرتين. وفى الآونة الأخيرة، برزت العديد من التفاصيل الدقيقة التى تستغل فيها المواد المحلية، كالبذور، أو الحجارة، أو علامات مختلفة، حسب ما يراد توضيحه. ومن هنا فالمواد المحلية، أصبحت جزءًا أساسياً فى عملية رسم الخرائط والنماذج على الأرض أو على الورق لتوضيح المعلومات عن كل منزل لإحصاء عدد الرجال والأطفال والنساء والممتلكات الثروة ، الفقر، المعوقين، التطعيم الصحى، التعليم، ومعلومات أخرى.

وهكذا فإنه أصبح من الممكن أجراء مسح إحصائى لأى قرية فى أقل من ساعة إذا ما وجد الشخص أو المجموعة المدركة لهذه

الطريقة. ومن الممكن أيضاً الحصول على معلومات أخرى إضافية عبر استقراء مثل هذه الخرائط والنماذج. كما اتضح أن القرويين باستخدامهم لهذا الأسلوب الذى يوضح الكم، التقديرات، التصنيف، توضيح الصورة العامة بيانياً، هم أكثر قدرة على جلب المعلومات وتحليلها، وليس كما يظن الباحثون الغرباء. وحتى تنطلق هذه الإمكانات وتتفجر، لابد من افتراض **"أن هؤلاء" أى القرويين، بإمكانهم أن يفعلوا شيئا حتى يثبت العكس". بغض النظر عن تعليمهم ووضعهم الثقافى، والاجتماعى، وذلك فى حد ذاته اكتشاف هام.**

وعليه فإن المطلوب هو إيجاد الظرف الملائم، وتوفير الأدوات اللازمة. حتى يستطيع سكان الريف المشاركة فى تحديد أولوياتهم والتفكير فى كيفية تطوير أساليب زراعتهم وتسميدها وتحسين انتاجيتها كماً ونوعاً.

2 - 6 الإلفة والتفاعل

الأكتشاف الثانى هو أهمية خلق الإلفة والتفاعل بين السكان المحليين والغرباء فى المراحل الأولى من العمل. فالإلفة والتلقائية فى التعامل هو الأساس الذى تنبنى عليه الثقة بين الطرفين مما يسهل عملية المشاركة، وهى الشرط الأساسى فى تطبيق الـ PRA ونذكر هنا أن هنالك محاولتين قد فشلتا فى هذا المجال بسبب إفتقارهما لعنصرى الإلفة والتفاعل. المحاولة الأولى تمت بأسلوب "السياحة الريفية" (Rural Tourism).

والتى يتعجل فيها الباحث حكمه على الأشياء وتكون الرسميات هى الطابع الرئيسى فى تعامله مع الناس، مما يؤدى إلى عدم التعرف الصحيح على أوضاع القرية وأصحابها مما يجلب النتائج العكسية.

أما التجربة الثانية، فهى تجربة عالم الاجتماع، الذى يبحث فى علم الناس (الانثربولوجى) وهو مؤمن تمامًا، بإن خير وسيلة لدراسة مجتمع القرية هو الدخول فيه والتعامل معه من خلال المعايشة اليومية وبالإقامة الطويلة معه لخلق الإلفة والفهم والمعرفة المطلوبة، ورغم ذلك تبوء محاولاته بالفشل إذا ما حاول إكتساب الإلفة الضرورية فى وقت قصير. ولهذا نسمع كثيرا من الباحثين الزائرين القدامى والعاملين فى تنمية الريف مقولة «إنى إدرك ذلك تماماً» «أنا نفسى قروى»، «وهذا الأمر لا يحتاج لكبير عناء، فأنا أدرك ذلك بصورة تلقائية من كثرة معايشتى لهذه المجتمعات» وهكذا. أما بالنسبة لعلماء الاجتماع، فإننا غالبا ما نسمع «لقد اخذ ذلك منى ما يقارب العام حتى استطعت اكتساب ثقتهم، والتوصل لهذه المعلومات فكيف إذا يعقل أن يتحصل آخرون، على هذه المعلومات، أو أفضل منها، فى أقل من ذلك الوقت وبأقل جهد » ؟ إذن فإنه من غير المقبول، لدى الذى أقام طويلا، وبذل جهدا فى تعلم لغة أهل القرية حتى يخلق لنفسه نوعا من الإلفة فى التعامل، أن يجد آخرين، وبجهود أقل وفى زمن قياسى قد نجحوا فيما سعى له بكل جهد ومعاناة، أن يدركوا، ويعرفوا عن ذلك المجتمع أكثر مما عرف هو مع كل ما بذله من جهد.

إننا لا نجافى الحقيقة إذا ما قلنا، إنه بالرغم من كل ما اوردناه، فإن تطبيق الـ PRA يقود إلى مزيد من الإلفة والتفاعل، إذ كانت بداية

الغرباء تتضمن محاولات لكسب الثقة بتلقائية فى التعامل مع أهل القرية، ويحدث ذلك إذا ما كانوا فعلاً واضحين وشارحين لأفراد القرية منذ البداية من هم؟ وماذا يريدون أن يفعلوا ؟؟ وكذلك بإظهارهم الرغبة فى التعلم من أهل القرية، وبمشاركتهم لهم فى الأنشطة المختلفة. كما أن للصفات الشخصية أثرها فإظهار الاحترام، والصبر وإبداء الاهتمام بما يعتقده القروى وعدم التعجل والاستماع بدون مقاطعة والمشاهدة، والمراقبة، والتجوال، كلها أمور تحفز، وتدفع المجتمع القروى للمشاركة فى رسم الخرائط وإعطاء النماذج والرصد.. إلخ، على العكس تماماً من أسلوب المعاينات، وطرح الأسئلة. فالشكل الذى ذكرناه لا يعطى أفراد المجتمع الأحساس بأنهم قد وفروا معلومات فقط وأن تلك المعلومات أخذت، وسوف يذهب بها بعيدا عنهم. أما الشكل النموذجى، فهو الذى يمنحهم الأحساس بإن هذه المعلومات ملكهم. وبأنهم قد ساهموا فى جمعها واشتركوا فى تحليلها. كما أنهم يجدون متعة فى السعى لتوفيرها، وساعدوا أيضا فى أن يبدأ العمل .

بتأكيد ضرورة الإهتمام بالإلفة والمودة، تكون طريقة الـ PRA قد نجحت، ومكنت لمرحلة مشاركة أفراد القرية باعتبارهم الجزء الأصيل والفاعل فى عملية البحث والتحليل. ومن ثم الفوز بالنتائج .

3 - 6 الرسم البيانى والمشاهدة

الإكتشاف الثالث يتمثل فى شعبية وقوة المشاركة فى وضع البيانات والمشاهدة

يعتبر الرسم البيانى والمشاركة فى المشاهدة من الأساليب المهمة

فى معظم أبحاث الـ PRA بعكس الاستبيان، إذ إن الغريب فيه هو الذى ينظم المعلومات من خلال الاعتماد على الإجابات المعدة على استمارة الأسئلة فى البحث المعين، وهو أسلوب أخذ المعلومة من الإنسان المراد معاينته إلى الجدول الذى فى الورق، وهكذا تصبح عملية البحث حركة اتجاه واحد. وتصبح المعلومات شخصية، وغير محققة ومملوكة للسائل (المتحرى). وعلى العكس تماما فإن المشاركة والمشاهدة عند طرح نموذج أو بيان أو أى أداة تستخدم فى التصنيف أو الرصد أو الإحصاء تعمق من المشاركة فى كل شئ ويكون التعلُّم فيها مستمرا والمعلومة شبه دائمة، نقحت وصححت وأضيف إليها وأصبحت ملكيتها لكل الناس.

4 - 6 التسلسل أو التتابع

الإكتشاف الرابع هو قوة وشعبية التسلسل والتتابع فى طرق المشاركة.

بعض طرق المشاركة معروفة ومعمول بها فى الماضى (انظر رودس 1995) أما الآن فهناك طرق جديدة، تم التوصل إليها، والمهم هنا والمدهش حقا فيها هو قوة الجمع والموازنة بين هذه الطرق الجديدة التى تم التوصل إليها وبين الطرق القديمة وتتابعها وتسلسلها الواضح (شاه 1991). ولنأخذ أمثلة لذلك فى مرحلة وضع الخرائط بالمشاركة مثلا يقوم القرويون برسم عدة خرائط بدلاً عن واحدة مما يجعل هذه الخرائط أكثر تفصيلاً ومعلوماتها متكاملة.

إن الخريطة الاجتماعية تتيح فرصة لوضع احصاء للمنازل، ولبيان عدد السكان والمجموعات الإثنية، والأحوال الصحية، والحالة العامة

للمساكن، وغيرها، ومثل هذه البيانات تقود إلى معرفة مقدمى المعلومات الأساسيين، (الزائرة الصحية، المعلم القابلة، المرشد الزراعى.. إلخ). وتبادل النقاش، وفتح الحوار بدون قيود، وهذا التسلسل مفيد فى كثير من الأمور فى الـ RRA والـ PRA.

وتقود المشاركة فى رسم خريطة الموارد، إلى التخطيط والقيام بجولات تفقدية ويلعب القرويون الذين شاركوا فى وضعها دور الدليل بالنسبة للغرباء. وهذه الجولات تؤدى بدورها إلى التعرف على ومناقشة المشاكل والفرص المتاحة. وبالتالى تتم عملية رصدها وتصنيفها، وترتيبها، حسب أولويات أفراد القرية. (مكهارى وسيفت وأومار 1991).

فمثلاً إعداد خريطة لموارد غابية متدهورة. وإحصاء المساحات المزالة من الأشجار بواسطة القرويين يؤدى إلى معرفة عدد الأشجار التى يجب اعادة غرسها وفتح نقاش وتحليل أى الأنواع هو الأفضل، وعدد الشتول المطلوبة للمشاتل وتتدرج رؤى القرويين فى معايير الأفضل ونقيضه غير المفيد فى ترتيب الأشياء (الأشجار، الخضار، الأعلاف، التنوع فى المحاصيل، الحيوان، مصادر الدخل التسويق، أنماط الطاقة، الهجرة .. إلخ) وهذا بدوره يؤدى إلى النقاش بين المجموعات المختلفة فى المجتمع وحينئذ يعبرون عن افضلياتهم،ومن ثم مزيد من فرص النقاش وتبادل الآراء، مما ينعكس إيجابياً على النتائج النهائية .

تم ابتكار طرق عديدة تم استخدامها بالكامل فى الـ PRA، وفى كينيا استخدمت تلك الطرق بخطوات تدريجية (بيد ونيس 1989)، وفى

الهند قام برنامج اغاخان لدعم الريف AKRSP باستخدام نفس الطرق وبخطوات ارتجالية وبكثير من الحرفية وكأنها جهزت للتقييم المتخصص والتخطيط .

إن قوة هذه الخطوات تكمن فى الآتى :

1 - تعاظم مسئولية المشاركين فيها، مما يجعل مناخ العمل اكثر عفوية وأكثر قابلية للاستمرار والبقاء .

2 - الخطوات تتوالى وتتابع، فى تدقيق ثلاثى مما يكشف الأخطاء ويجعل الحذف ممكناً فى الخطوات الأولى (برتى وآخرين ١٩٩٢).

3 - تتفاعل هذه الخطوات تراكميا، بحيث تضيف كل خطوة بعدا جديداً كما تمنحنا تفاصيل أخرى مما يدعم سابقتها، وبذلك يكون استخدامها كمجموعة أكثر جدوى مما لو استخدمت منفردة .

4 - المختصون، (المشاركون) يتعلمون من خلال الخطوات ومن خلال مشاركة الناس معارفهم ومن خلال الملاحظة والتحليل. وفى حالات مثل هذه تتناسب طرق وأساليب المشاركة، مع فكرة وخطوات التعلُّم المرن، المفتوح إلى حد ما، ويمكن تطبيق أكثر من طريقة من أساليب الـ RRA فى المراحل الأولى. كذلك لهذه الخطوات ميزة فريدة إذ انها، تجعل القرويين يستخدمون معاييرهم هم كما تعطيهم الحق فى وضع جداول أعمالهم، وتوضيح وترتيب أولوياتهم .

5 - 6 تدريب وتهيئة الغرباء

الأكتشاف الخامس هو أن بعض الغرباء، والذين تتم تهيئتهم وتدريبهم لا يحتاجون لوقت وجهد كبيرين ليتمكنوا من بدأ العمل.

فترة التدريب والتأهيل تغطى قطاع واسع من البرنامج، إذ أننا نجد الآن أن الجامعات فى العادة تأخذ وقتاً أطول بينما المنظمات الطوعية والحكومية تحتاج لفترات اقصر فى التدريب. أن التدريب على الـRRA والذى أجرى فى جامعة خون كين فى تايلاند 1990 مثلاً استمر ستة أسابيع، وقد اعتبرت المدة غير مناسبة (انظر جراند استاف وآخرين1990).

أما التدريب على الـ PRA الذى اجرى فى جامعة ايفرتون بكينيا، فى1990 استمر ثلاثة أسابيع فقط، وتمت إعادة تجربته عدة مرات، من ناحية أخرى نجد فى الهند مثلا تم عرض شريحة لخريطة تم إعدادها عن طريق المشاركة. وكلا التجربتين تم تطبيقهما لنقل التجربة والتعلم منها، وقد تم استخدامهما بواسطة مجموعة من الجمعيات التطوعية. وذلك لمدة ساعة وبعد العرض مباشرة تم تحليل ما عرض وبين هذين الوضعين المتباينين أقيمت ورش عمل وتدريب لمدة نصف يوم، يوم , يومين، وهكذا إلى ما يساوى مجموعه عشرة أيام.

أن التجربة المباشرة هى المفتاح. وأن قاعة الدراسة تشكل عازلاً وعائقاً بينما الميدان يحفز ويحرر. والإنسان لا يتعلم العوم دون الدخول فى الماء. والمشاركون فى أى تدريب، وقبل بدئه، دائماً ما يرددون بإنهم غير جاهزين، وأنهم فى حاجة إلى يوم آخر، وإلى مزيد من التأهيل، ولكن وبتطبيق مبدأ الحد الأدنى من الإعداد، دائما ما يكون الحل هو الأفضل، للمشاركين الجدد. **لا للانتظار، لنبدأ العمل، تعثر، صحح نفسك، ثم شارك.**

فى هذه الأسطر، نجد أن الكثير من عمليات التدريب على الـ

PRA والتى تمت فى الهند إستمرت ما بين ثلاثة إلى خمسة أيام فى مخيمات فى القرية، أو بالقرب منها. انظر (راماشانداان 1990 ، ديفرفاران، وآخرين 1991، جيكاران 1991، جوزيف وجوزيف 1991، كومار ما سكرتهاس 1992)، ودائماً ما يستلزم المعسكر فى عملية تدريب الغرباء إستخدام أساليب مختلفة لعملية المشاركة من أجل التوصل الحقيقى للخطط التى تتم بواسطة وبمشاركة أفراد القرية .

إن قضاء بعض الليالى فى القرية يفيد فى تكيف الغرباء وزيادة وتركيز التجربة. ونجد أن هناك اهتماماً مركزا يحيط بتصرفات وسلوك الغرباء. ويتم تشجيع القرويين على وضع الخرائط والرسومات والمساهمة والمشاركة فى الجولات التفقدية وفى التخطيط.

إن الهدف الأساسى من تدريب الغرباء هو تسهيل عملية التغيير فى الممارسة وقبول أسلوب الإستماع لا المحاضرة، تقبل الخطأ ونقد الذات بموضوعية، وهى مثال لعملية قلب الأدوار بحيث يتقبل الغرباء دور المتلقى ويتعلمون من أهل القرية كيف يؤدى الأهالى واجباتهم فى القرية.. أما بالنسبة للغرباء الذين اخذوا تدريبا رسمياً وتقليدياً سيكون هذا بمثابة صدمة أو تجريح لهم، وقد يحتاجون إلى فهم ومعاملة خاصة وبرغم ذلك قد لا يحدث أى تغيير يذكر. ولكن بالنسبة للبعض فهناك مجموعة من الاحتمالات، والفرص، وشئ من الحرية، لإجراء التجارب وخلق الإضافات، وعلى هذا فليس مهما أن يدربوا على كل الطرق والوسائل. فمن الممكن أن يجربوا ويرتجلوا أى طرق أخرى قد تبتكر فيما بعد.. **وباب الابتكار والإبداع مفتوح للغرباء والقرويين بنفس القدر.**

أسلوب آخر هو أن يستخدم أسلوب المشاركة الخفية دون إعلان، فبعض المهنيين يرفضون أسلوب الـ PRA وطرقه، باعتباره وسيلة غير ملائمة وغير علمية. لذا فإن الأساليب التى تستخدم فيها الأعداد والجداول، يمكن أن تكون هى الأفضل للبدء فى العمل، وبالتالى تجعل بقية الأساليب مقبولة. فى منغوليا وجد «دوبن ميرنز» أن التدرج على أساس الثروة مفيد جدا فى هذا المجال كجزء من «الاجندة الخفية»، لإعطاء مظهر من الإحصائيات الصعبة، إن الباحثين المنغوليين والبيروقراط كنظرائهم فى أماكن أخرى من العالم تم تكييفهم وتأهيلهم، على التوقع، واستخدام الأساليب، الأخرى، (ميرنز وآخرين 1992). السؤال هو ما إذا كان هؤلاء العلماء سيقتنعون بمعايير المزارعين، وأحكامهم، ومقدراتهم، كما يظهر فى جداول التدرج، وهل سيؤدى إلى ذلك تقبلهم للأساليب الأخرى، ومن ثم يتحولون تدريجياً إلى مشاركين.

6 - 6 المشاركة والانتشار

الأكتشاف السادس والأخير يتعلق بأهمية المشاركة فى ثقافة ونشر الـ PRA

يعرف الـ PRA عملياً بثلاث أسس :

- أساليب وأدوات.
- نهج وسلوك.
- مشاركة.

كانت النظرة فى البداية إلى أن الأسلوب هو الأكثر أهمية، ثم ظهر أن نهج وسلوك ومواقف الغرباء هى الأساسية، خاصة تلك التى تتعلق

بالإلفة، وخلق بيئة اجتماعية صالحة للعمل، والآن بدا، وكأن المشاركة هى الأهم، ويعود ذلك جزئيا إلى أن المشاركة هى الأسلوب الذى من خلاله بدا الـ PRA فى الأنتشار، ولاقى رواجاً. فى الهند مثلا نجد أن ثقافة المشاركة عرفت من خلال مجهودات ميرادا وبعض من مؤسسات الـ NGOs. فنجد أن معسكراً لإحدى المنظمات الطوعية يحتوى ليس على موظفيه فقط وإنما على أفراد من المنظمات الأخرى ومن أفراد حكوميين أيضاً، حيث المشاركة جزء أصيل من التجربة المشاركة فى المعلومات التى جمعت بواسطة القرويين يقدمونها لبعضهم البعض، والمشاركة فى عملية النقد الذاتى أمام الغرباء، والمشاركة فى الطعام مع الجميع .. إلخ.

وإذا ما تم الإتفاق بيننا على أن الـ PRA قد انتشر من خلال المشاركة، والتجربة والتعلم المتبادل، فإننا نتفق أيضاً بأن هذه الطريقة فد أخذت أشكالاً مختلفة، وفى أماكن مختلفة فالناس والمنظمات كل يبتدع مجموعته وثقافته الخاصة. فالبعض يركز على مجموعة معينة من الأساليب والطرق، بينما يركز الآخرون على غيرها مثلاً، جولات المقطع العرضى (ماسكرنهاس1990)، أو التدرج حسب الثروة (انظر نشرة الـ RRA:1,5). ويمكن القول أن عددا من أساليب المشاركة وتبادل الخبرة بين موظفى المنظمات أصبح ضروريا، ومجديا، حيث يقوم موظفوا إحدى المنظمات بقضاء وقتهم مع موظفى منظمات أخرى فى فترة التدريب على الـ PRA، وفى كل الأحوال يكون للإبداع، وابتكارات القرويين، دوراً مهما، وهذه الأبتكارات تظل تحاط دائماً بالتشجيع والمساعدة من الأطراف المشاركة جميعها فى معسكرات التدريب وعبر ذلك يتم الإنتشار.

7 -الإستخدام : تطبيقات عملية

أن طريقة الـ RRA وطريقة الـ PRA تثبت كل يوم أنها الجديرة بالاحترام فالتجارب والحكاوى هى بمثابة دليل على منفعة وفائدة التطبيق الجيد للتقييم الريفى السريعRRA والتقييم الريفى بالمشاركة PRA والذى انتشر بالرغم من أنه لم يجمع ولم يحلل حتى الآن بطريقة متكاملة.

ولتوثيق تطبيقات الـ RRA والـ PRA . فنحن بلاشك محتاجون لورقة خاصة وتثبيت للمراجع (بيلوغرافيا) (انظر على سبيل المثال الـ PRA فى الإدارة الزراعية (KKU 1981) بالإضافة إلى تجارب كل من شيلى، اكوادور، اثيوبيا، وجامبيا، ودول أخرى فى استخدام أساليب الـ RRA والـ PRA فى بحوث التنمية وفى عدد من مجالات تشمل نظم الاقتصاد الزراعى، والموارد الطبيعية، بما فيها الغابات، الأسماك، البيئة، الرى، التقنية والأبتكارات، الصحة والتغذية، بحوث النظم الزراعية والارشاد الزراعى .الرعى، التسويق، تقليل آثار الكوارث، تقدير الاحتياجات المؤسسية، الأحوال الأجتماعية والثقافية والإقتصادية. إلى جانب العديد من الموضوعات الخاصة. وكما هو الحال بالنسبة لـRRA فإن منهج PRA بالإمكان تطبيقه فى كل تلك الحالات.

أما فى حالة الـ PRA فإنه يتم إنجاز الكثير وبمعدل سريع، وفى أماكن عديدة، ومن المؤكد أننا لا نستطيع رصد قائمة بتطبيقات البحث السريع بالمشاركة التى أنجزت فى هذا العام فقط. فلقد كثرت المصادر، وصارت المراجع التى تذكر قليلة. (راجع IDS سنة 1992 للحصول على المعلومات عن تلك المراجع). «تأخر تجهيز قائمة البيليوغرافيا التى تحتوى على المصادر المتاحة».

وعلى أى حال يمكن تصنيف التطبيقات المعروفة فى الـ PRA إلى أربعة أنواع من التطبيقات ، و أربعة أقسام رئيسية كما موضح أدناه:

التطبيقات

- البحث والتخطيط بالمشاركة
- تنفيذ ومتابعة وتقييم البرامج بالمشاركة
- فحص (تحرى) الموضوعات
- تدريب وتوجيه الباحثين الغرباء وأهل الريف
- أما الأقسام الرئيسية الأربعة فهى كما يلى:

1 - 7 إدارة الموارد الطبيعية

خطوط تقسيم وحماية التربة والمياه، مثل المشاركة فى إدارة خطط توزيع المياه، بما فيها تحليل أوضاع منابع المياه (بريتى سنة 1990) .

الغابات: مثل الغابات الشعبية، تفقد أحوال الغابات المتدهورة، حماية المشاتل وغرس الشتول، تحديد استخدام الأشجار وتسويق المنتجات البسيطة من الغابات (انظر كيس 1990، وسلسلة الـPRA أنظر م. شاه فى طريقها للنشر).

- **الأسماك**
- **المحميات البرية**
- **تقديرات الطاقة والوقود والعلف فى المناطق الريفية**
- **خطط القرية: إعداد خطط إدارة القرية** (PID and 1990 NES)، **التخطيط والبحث الريفى بالمشاركة .**

2 - 7الزراعة

تربية الحيوانات وفلاحة المحاصيل، بما فيها بحث نظم الزراعة بواسطة المزارعين

الرى، ويشمل تأهيل نظم الرى بانسياب الجاذبية على (نطاق ضيق).

الأسواق: دراسة الأسواق وإمكانيات التسويق بواسطة صغار الملاك.

3 - 7 برامج تحقيق العدالة :

المرأة: بحث المشاكل والقروض «بالمشاركة»

القروض : تحديد احتياجات وموارد وبرامج القروض

الاختيار: الوصول للفقراء واختيارهم للاستفادة من برامج معينة وعدم اختيار من هم أقل فقراً (شاندرامولى سنة 1991، ومذكرات عن الـ RRA رقم15 باسم).

إدرار الدخل: تحديد فرص إدرار الدخل من مصادر غير زراعية

4 - 7 الصحة والتغذية:

متابعة وتقييم الأحوال الصحية (مثل أبلتون 1992 فرانسيس، ديفافارام وإرسكن 1992، جوزيف 1992) وتشمل التطبيقات الصحة التناسلية للمرأة (تولى وبنتلى 1992) تدرج مشاكل المرض (ويلبورن 1992) العطالة، الصحة (كريسويل 1992)، تدرج الأمراض المنتشرة، موفرى الرعاية الصحية، والتكاليف (جوزيف 1992)، وتخطيط المشروعات الصحية (فرانسيس، ديفافارام وإرسكن 1992) (انظر

هيفر 1992 ومذكرات RRA 16 -106 -101 للحصول على قائمة كاملة لاستخدامات فعلية أو محتملة) .

الأمن الغذائى وتقييم التغذية (ماكسويل 1989، ابليتون 1992، بوشانان 1992).

وتقييم المرافق الصحية والمياه وتخطيط وتحديد المواقع.

هذه القوائم توضح بعض التطبيقات المعروفة وهناك بالطبع العديد من التطبيقات الأخرى، ويمكن توقع العديد من التطبيقات.

ولبعض الأسباب مازال هناك (فى أواسط سنة 1992) حالات دراسية قليلة تهتم بمردود التجارب التى تمت فى هذا المجال وذلك للأسباب الأتية:-

- أولاً، الـ PRA منهج حديث، ومازالت الكثير من مراحل أبحاثه فى الأطوار الأولى.

- ثانياً، أن ذوى الخبرة من الممارسين لمنهج البحث السريع بالمشاركة، واستجابة لما تتطلبه الأحوال، واهتداء بمنهجهم الخاص فى ترتيب الأولويات، انشغلوا فى معظم الأحوال بالتدريب والأبحاث بدلاً من المتابعة والتقييم، وينعكس هذا الاتجاه فى التقارير التى يكتبونها .

- ثالثاً، إن الباحثين الأكاديميين كانوا بطيئين فى الاعتراف بما كان يحدث، ونادراً ما درسوا منهج البحث السريع بالمشاركة وتلك هى الأسباب التى من الممكن الاستفاده منها لدراسة الآثار الناجمة عن أى إخفاقات لأولئك الباحثين لدى تطبيقهم منهج الـ PRA وكذلك تجارب المؤسسات التى لم تكلل محاولاتها بالنجاح.

بعد تناول هذه الحقائق، فإن التجربة الإيجابية تأخذ شكلين

رئيسين: درجة الأخذ والأستخدام من قبل المؤسسات والأفراد، وحقائق الإستخدام الفعلى .

أولاً، يعتبر عدد المؤسسات التى أخذت واستخدمت منهج الـPRA كبيرا جداً ويأخذ هذا العدد فى النمو، وفى الغالب فإن التقديرات الناتجة من تلك التجارب تختص بالزراعة والموارد الطبيعية . وليست لدى معرفة بمقدار التناول والاستخدام فى مجال الصحة والذى ينتشر عبره الـ PRA محلياً، خاصة من خلال اليونسيف UNICEF.

إن المنظمات غير الحكومية التى تستخدم الـ PRA فى البلاد المختلفة (حتى منتصف 1992) لابد أن يصل عددها إلى مائة على الأقل، وربما بضع مئات .

هناك دستة على الأقل من الجامعات ومعاهد التدريب لديها بعض العاملين الذين يقومون باستخدام أبحاث الـ PRA رغم أنهم يشكلون أقلية قليلة فى أى جامعة أو معهد تدريب (أنظر فصل 12 : 8) وقد سعى عدد قليل من تلك المنظمات إلى تطبيق منهج البحث السريع بالمشاركة فى برامجها، مثل: مصلحة حماية المياه والتربة التابعة لوزارة الزراعة الكينية والتى استخدمت الـ PRA رسمياً فى مجالات عملها فى أكثر من أربعين مركزاً، وإدارة تنمية المناطق القاحلة فى كارناتاكا فى الهند، وهيئات تنمية المناطق الريفية فى أندارا وبراديش فى الهند، وجهات أخرى. وتعمل البرامج الحكومية الممولة من قبل المانحين فى الأخذ باستخدامات أساليب الـ PRA، وتأهيل وتدريب من يقومون بها مثل برنامج غرب القاتس الذى يموله برنامج التنمية لما وراء البحار (ODA) فى الهند وكذلك برنامج التعاون الفيتنامى ـ السويدى لتنمية

الغابات، والذى تموله وكالة التنمية العالمية السويدية (SIDA) فى فيتنام . لكن وفى بعض الأحيان تحدث مقاومة شديدة فى الهيئات الكبيرة، سواء الحكومية منها أو غير الحكومية لمنهج الـ PRA ، وفى هذه الأحوال يتم الأعتماد وتقديرات استخدامه، وانتشاره الفعلى على التوجه الفردى والأختيار الشخصى، وكذلك على الحوافز المتوقعة.

وفى الهيئات الصغيرة ذات القيادة المتحمسة فإن الأخذ بأسلوب الـ PRA يمكن أن يتم فى أقصر وقت ممكن. أما فى الهيئات الكبيرة فلا تتم العملية عن طريق الأوامر الفوقية، ولكن عن طريق دعم مستمر من المستويات العليا، وتقديم أفضل أنواع التدريب على نطاق واسع، وأنسب نظم التحفيز، ليصير بالإمكان حدوث انتشار حقيقى لمنهج الـ PRA . وبأخذ هذه الملاحظات فى الاعتبار، فإن عدد الناس الذين اختاروا استخدام الـ PRA الآن كأسلوب وعملية وليس مجرد منهج فقط يصل عددهم إلى الالاف ومازال العدد متصاعداً.

ثانياً: إن حقائق الاستخدام الفعلى لا يمكن إحصاؤها، ولكن وجودها مشتت فى مراجع ضخمة بعيدة ، يصعب الوصول إليها. وليس من المدهش أن معظم هذا الأدب ذو طبيعة إيجابية. وبالمثل، فإن ما تم بحثه وتحليله على نطاق واسع من عمليات الـPRA يعتبر ضئيلاً من حيث العدد. وتوضح عمليات التقييم التى أجريت عن أنه إذا ما أستخدام الـ PRA فقط، مقارنة باستخدام التدريب والزيارة الميدانية، فإن هنالك عدد من المؤشرات الزراعية المشجعة، مثل زيادة الإنتاج الزراعى، وتنوع أكبر للمحاصيل، وتقليل عوامل التعرية، وتثبيت التربة، وزيادة القيمة والفائدة، وزيادة معدلات الرواتب مقابل معدلات النقصان

معدلات التكلفة، وزيادة أسعار الأراضى، (جوليس برينى). ذكرت نتائج مشابهة فى تقارير استخدام الـ PRA فى جوجارات .

لقد فات الوقت للقيام بالبحث، والنقد لحقائق ونماذج أخرى فى الأدب العتيق، وهناك أيضاً جدول أعمال واسع للبحث ولفهم أفضل للعمليات وتأثيرها، والإخفاقات ونقاط القوة فى منهج الـ PRA. وكان من الممكن تقييم بعض هذه العوامل فى ضوء البيانات الصحيحة الموثوق بها.

8 - المصداقية وصواب التعويل:

إن الذين ينخرطون فى استخدام الـ PRA يتضح بجلاء حماسهم للتجربة. أنهم يجدون ما يبهجهم ويبث فيهم الشعور بالتحرر والقدرة على الاكتشاف.

إن عرض وتحليل المعرفة المحلية الدقيقة فى الخرائط، والنماذج، والأشكال والرسومات، وما شابه ذلك بواسطة القرويين، تحدث انطباعاً مؤثراً وعميقاً لدى الأشخاص الغرباء بطريقة تؤدى إلى نقد ذاتى، وتحدى الأحكام المسبقة،كما وتؤثر على التصرفات والاعتقادات.

وهذا واضح فى ملاحظات بعض العاملين فى الهيئات غير الحكومية أدناه.

«بعد وضع الخريطة الاجتماعية بالمشاركة»	**أعمل منذ ٨ سنوات فى هذه القرية ولكنى لم أرها فى هذا الشكل من قبل»**
«بعد تجربة البحث السريع بالمشاركة	**لن أرجع لاستخدام الاستبيانات»**

«بعد التدريب على نهج البحث السريع بالمشاركة

كنت أحاول استخراج هذه المعلومات فى هذه القرية منذ ستة شهور ولكن حصلنا عليها الآن فى يومين»

إن التجربة التى تعكسها هذه الأقوال حقيقية، وبالنسبة للذين يطلقون تلك الأقوال فإن حقيقة التجربة الشخصية كافية جداً. ولكن يمكن، بل ويجب طرح أسئلة عن وسائل أخرى لقياس صلاحية ومصداقية أساليب ومناهج الـ PRA تقل فيها عناصر التجربة والتفاعل الشخصى .

● يقصد بالمصداقية هنا: تقارب النتائج النهائية مع الواقع، كما يعنى التعويل إمكانية الاعتماد على تلك النتائج «أى صلاحيتها».

إن النتائج ذات المصداقية العالية تكون ذات صلاحية عالية أيضًا، إلا أننا أحيانًا نجد أن المصداقية عالية، والصلاحية أقل. ومن هنا فالمصداقية والصلاحية ليستا قيمًا مطلقة فى كل الأحوال، إذ أنه وفى حالة الإنحياز المتعمد السلبى. تبرز حالات توفيقية يحركها جهل أو عدم دقة، مما يعطى انطباعًا بأن تلك الحالة السلبية يمكن أن تكون ذات جدوى فى التطبيق. وملائمة من حيث الوقت والمال.

فى البداية تعطى معظم بحوث الاستبيانات الكبيرة مقاييس غير ملائمة لأى تقييم أو أى مقارنة بينها وبين الـ PRA (وهنالك بحوث معينة مكررة وروتينية، مثل المسح القومى للعينات فى الهند تمثل استثناء جزئياً لما يتبع). وإن أشد النقد لبحوث الاستبيانات فى المناطق الريفية أشار إلى أنها مصممة بطريقة غير سليمة. كما أن

تطبيقها وتحليلها جاء بطريقة خاطئة أيضاً (انظر موريس 1970، وكامبيل وشريستا وستون 1979، ودانى1987، وجيل - فى الطريق إلى النشر). وفى معظم الحالات فإن الاستبيانات تفتقر إلى العديد من العناصر ونادراً ما يتم إخضاعها للتدقيق والفحص.

وعلى أى حال يجب التفريق بين الحالات المذكورة أعلاه وبعض بحوث الاستبيانات التى أجريت بنجاح نسبى. ويمكن توضيح ذلك بمثال: فى سنة1973 أشترك41 شخصاً فى إجراء مسح طريقة الاستبيانات فى تاميل نادو (من تقرير الـFarmer 44 - 37 - 1977) ولأنى لم أكن مسئولاً عن تدريب الباحثين الذين أجروا المسح ولم أشرف عليهم، فإنه من الإنصاف القول أن الإشراف على المسح كان جيداً، وأن تدريب الباحثين كان فعالاً وجاداً. كان هناك 8 باحثين لـ 12 قرية، وكان كل منهم مختلف تماماً عن الآخر (تشامبرز وهاريس1977). وكان نصيب كل باحث من الباحثين الأربعة قرية واحدة فقط . بينما كان للأربعة الآخرين قريتين لكل واحد منهما، وكان أن قمت بكتابة مقال عن الإرشاد الزراعى على ضوء البيانات الواردة فى المسح. وأردت تقديمها للنشر. ولكن ما حدث، هو أنه كلما نظرت إلى المقال، انتابنى شعور أنه يوجد خطأ ما. وأخيراً أخذت النتائج التى تم الحصول عليها من القرى الثمانية التى أجرى فيها بحث مشترك، وقارنتها بنتائج عمل كل باحث. وكانت النتائج التى تم الحصول عليها من كل قرية مشابهة لنتائج نفس الباحث المناظرة. ويتضح من هذه المقارنة أن المتغير الرئيسى هو الباحث وهكذا سقطت الأسس التى بنيت عليها المقالة.

إن حدوث هذه الحالة فى مسح تم الإشراف عليه إشرافاً جيداً،

يفرض تساؤلاً حول مصداقية البحوث الأخرى، والتى لا تختبر ولا ترفع تقاريرها حول انحياز الباحث. (ولكن هناك عدد قليل من البحوث التى ترد فيها تقارير عن انحياز الباحث).

أن حقيقة ندرة الكتب، وما يكتب حول هذا الانحياز، قد يشير إلى أن حتى الذين يقومون بالتجارب،ربما يرتكبون أخطاء مثل ما فعلت فى عدم نشر تلك النتائج المُدينة.

وبصفة عامة، يمكن القول أن مناقشة جادة للمشاكل المنهجية يندر أن تصاحب تقارير نتائج البحوث لدرجة أصبحت معه صلاحية الكثير من نتائج «صناعة» البحوث موضعًا للتساؤل. ولأغراض هذه المناقشة، فإن الخلاصة النهائية هى أن نوعية البيانات التى يتم الحصول عليها من بحوث الاستبيانات غير جيدة فى الكثير من الأحيان، وأنه ليس من المستحيل تحسين تلك الصورة .

وعلى أى حال، فإن تلك الصعوبات لا يمكن أن تعالج إلا بصرامة شديدة وناقدة فى تقييم صلاحية ومصداقية أساليب ومناهج الـRRA والـPRA

إن الاختبارات التى تجرى فى معظم الأحيان تتعلق بالمقاييس والأرقام ولننظر إذاً فى الحالات الأربعة التى أتت فيها برامج الـRRA والـ PRA ببيانات رقمية تستخدم فى التقييم ويشمل هذا بحوث الزراعة والأسرة، تدرج الثروة والرفاهية، وبيانات الأمطار .

8 -1 بحوث الزراعة والأسرة

تم أجراء مقارنة خمسة حالات بين نتائج تم الحصول عليها عن طريق استخدام الـ PRA وبين بحث تقليدى أجرى عن طريق

الاستبيانات .

إن طريقة المسح الاستكشافى التى أتبعها ما يكل كولنسون (1981) والتى تختص بنظام بحث زراعى تتطلب 20 بحثاً. لم تتناقض بدرجة كبيرة مع طريقة المسح الإثباتى (Verification Survey) الأكثر تكلفة والتى دعت إلى التزام العاملين بعامل الوقت واستخدام الأموال .

فى كينيا قام استيفن فرانزيل وأريك كروفورد 1987 باسلوب منتظم بإجراء مقارنة بحث سريع، وبسيط مع بحث تقليدى طويل وموسع، ولم يجدا فروقاً تذكر، يمكن اسنادها لأى من الطريقتين المستخدمتين.

استخدمت ديانا روشيلو وفرق عملها (روشيلو1987) الذين عملوا فى مجال الغابات فى كينيا سلسلة من مقابلات عميقة التفاصيل وغير منظمة ومقابلات جماعية وقارنوا النتائج ببحث منظم عشوائى لحوالى 64 أسرة فوجدوا أن البحث المنظم استغرق3 أضعاف الوقت وأدى إلى نفس النتائج، كتلك التى حصلوا عليها من المقابلات الجماعية، وسلسلة المقابلات، مع تفاصيل وانسجام أقل (ibid : 21).

قاد أندى انجليس (1991 - 1990) فريق عمل استخدم مجموعة من خطوات البحث السريع بالمشاركة لجمع المعلومة المحلية فى مجال الغابات فى منطقة أجرى فيها من قبل بحث استبيانى طويل يحتوى على 278 سؤالاً، وذلك فى سيراليون وعرضت نتائج الـ PRA بعد4 أيام فقط من إجراء المسح فى آخر منطقة. أما تقرير المسح الاستبيانى مازال غير قابل للعرض بعد6 أشهر من انتهاء البحث الميدانى .

إن مقارنات بحوث الاستفتاء وبيانات الـ PRA كشفت عن وجود اختلافات حادة فى منطقتين. حيث كانت نتائج المسح الاستبيانى غير دقيقة ولذلك كانت صلاحيتها موضع شك. وكما أشار انجليس:

« إذا كانت المعلومات غير سليمة للتأسيس عليها فإنه لن يفلح أى قدر من المعالجات الإحصائية فى مساعدة العاملين بالمشروع على صنع القرارات المناسبة. وعلى العكس، فإن مسح البحث السريع بالمشاركة، قد استغرق وقتاً قصيراً جداً، وتم الحصول على النتائج، وإعداد التقارير عن مناطق محددة، يمكن استخدامها كحالات فردية فى إعداد أوراق للمناقشة فى الحقل فى بحوث المتابعة، وكبحث فإنه يمكن الاعتراف بالانحيازات، والإخفاقات، والحذف، والتى تظهر وسط رموز الاستبيان ويمكن لصانع القرار أن يرى كيف تم الحصول على المعلومات وكيف تم كشف العوامل المهمة وكيف تم الوصول لأفضل النتائج» (انجليس 107 : 1990).

يكتب س.ن. بيرناداس (1991) فى شرق فساياس فى الفلبين فيقول أن مقابلات الاستبيانات المنظمة، أكدت أن خصوبة التربة تعد أكبر مشكلة مقلقة للمزارعين. ويشرح بيرناداس أن العاملين بالمشروع، هم أنفسهم الذين قاموا بوضع الأسئلة على أساس رؤيتهم للأولويات. إن مناطق المشاكل التى تم مسحها، تم تحديدها مسبقاً بناءاً على وجهة نظر الغرباء، وهكذا، فإن سنتين من البحث المبنى على أساس نتائج بحث الاستبيانات لم تتوافق واحتياجات وظروف المزارعين، ولم يهتم المزارعون باستخدام التكنولوجيا التى وفرت لهم. ولذلك استخدم أسلوب الـ RRA فى المناقشات، والحوارات التلقائية، وفى المقابلات

المفتوحة (بموضوعات مرشدة)، وأدى هذا إلى اكتشاف أن المشكلة المقلقة للمزارعين لم تكن تتعلق بخصوبة التربة، وأنما بالتدهور الشديد للأرض، ونمو الآفات الضارة فيها، وعليه صار من الممكن القيام بالإجراء المناسب .

من الحالات الخمس يتضح أن نتائج منهج الـ PRA بالمقارنة بالاستبيانات المنظمة كانت أكثر صلاحية، وأقل تكلفة وملاءمة من حيث الزمن والفائدة .

هناك حالة واحدة فى الاتجاه الآخر تدعو للاحتراس وتعتبر مثالاً لأسوأ الأمور فى كل من الحالتين. وتختص بمسح استغرق أسبوعاً واحداً، أجراه باحث لثلاثين مزارعاً فى شمال زامبيا، وصف بأنه الـ PRA. يدفع (بوتير1995) بأدلة مقنعة، أنه فى مثل هذه المقابلات المتعجلة، فإن عدم فهم ماذا يقال ولماذا يقال، يمكن أن يؤدى إلى نتائج غير سليمة. وفى الحالة التى نحن بصددها الآن كان من المفترض أن يكون الأمن الغذائى قد تحسن بزراعة الذرة الشامية. ولا نخطئ إذا قلنا أن البحث كان متعجلاً وخاطئاً .

أن الدروس المستفادة من هذه الحالات كثيرة، منها أن العجلة فى المقابلات التى ينطلق فيها شخص واحد هى ممارسة خاطئة تحت أى مسمى، وأنه يمكن أن يكون رد فعل المعنيين التفوه بإجابات، (لدواعى الشطارة والتواضع وأفضل تقديم للنفس)، غير صالحة ولكنها هى المسجلة، وهى غير مفيدة فى المحصلة النهائية.

2 - 8 التدرج :

معلوم أن التدرج والتحصيل (Scoring)، كانا منذ زمن طويل، سمة

من سمات الأنثربولوجيين الاجتماعيين. فالناس فى المجتمعات المختلفة يدرجون الأفراد الآخرين أو الأسر بميزات مختلفة، مثل الاعتداء، والسُكْرْ أو كما فى أكثر الحالات الاحترام. الشرف، السعادة والثروة (بلوتر وبلوتر82 : 1978، مذكرات الـ 15 - PRA). إن أكثر الطرق شيوعاً هو فرز الكروت فى أكوام. والتى يقوم بها أفراد فى مجموعة، أو كأفراد فقط. أن مقدمى المعلومات المختلفين (informants) عادة ما يستخدمون أكواماً مختلفة لنفس المجتمع، ولكن تظل هناك حقيقة ثابتة وهى وجود علاقات مشتركة بين تدرج الترتيبات بين مختلف مقدمى المعلومات. وجد سيدال سيلفرمان (905 : 1966) أن هناك تشابهاً كبيرا فى التدرج النسبى للتدرجات عندما قام ثلاث أشخاص فى مجتمع إيطالى، بفرز الكروت لترتيب الأسر حسب معاييرهم المرتبطة بالوضع الاجتماعى المرموق. وترى بوللى هيل (75,41 : 1986) أنه بالنسبة للقرويين فإن المعايير النسبية للمعيشة غالباً ما تكون موضع اهتمام كبير. وبناء على بحث ميدانى فى غرب إفريقيا والهند تم التوصل إلى أنه بمقدور سكان الريف (إذا لم يكونوا أنفسهم من الفقراء أو غير قادرين) بمقدورهم تقييم، وتقدير نسبة الرفاهية، والثروة لدى أعضاء مجتمعهم بدقة كبيرة، أكثر من سكان المدن، تم التوصل لهذه النتيجة بعد عدد من البحوث الميدانية التى أجريت فيما بعد.

توصلت باربارا قراندين (1988) إلى أن العلاقات المشتركة بين مقدمى المعلومات فى اثنى عشر حالة من تدرج الثروة (كان العدد الكلى لمقدمى المعلومات12) بلغ متوسطها77 (مدى96 - 59). بلغ متوسط

العلاقات المشتركة لكل مقدم معلومات مقابل المحصل النهائية91 (مدى 98 - 84) .

يعتبر سيلفرمان، وهيل وفراندين، أنثروبولوجيين اجتماعيين، ولذلك كان من المتوقع أن تتوفر لديهم كمية كبيرة من المعرفة قبل القيام بالبحث، والسؤال هو هل يمكن الوثوق والاعتماد على المنهج بدون الخلفية والصلة الأنثروبولوجية. أن الذين قاموا بإجراء هذه التدرجات وجدوا أنها أسهل مما توقعوه (أنظر دراسات الـ 15 : PRA) ويقرون بوجود علاقات متبادلة بين التدرجات المقدمة من مقدمى معلومات مختلفين، أو مجموعات مختلفة. هذا ويقوم البعض بإجراء التدقيق الثلاثى من خلال المناقشات. وقد قام مقدمو المعلومات الثلاث الذين عملوا مع هيل، بتوضيح الاختلافات بين بعضهم البعض (انظر هيل1972 :55). وبطريقة الـ PRA، وبخطوات مشابهة، قامت منظمة ميرادا فى جنوب الهند بتطوير طريقة التقريب المتتالى، والتى فيها تقوم مجموعات منفصلة عن بعضها، بتدرج الأسر ومن ثم تجتمع تلك المجموعات لتقريب الاختلافات (أنظر فيديا راماشاندران)، ويستخدم هذه الطريقة فى اختيار الأسر للأستفادة من برامج مكافحة الفقر.

المثال الثانى يتعلق بتدرج قيمة ثلاثين نوعاً من نباتات المراعى، وصلاحيتها كعلف لحيوانات الرعاة فى نيچيريا (أنظر باير 1987،1988). فوجد أن نسبة تدرج أهم النباتات، تتشابه بصورة ملحوظة بين مجموعات مختلفة من الرعاة.

لا يمكن أن نتوقع أن تأتى التدرجات بنتائج صالحة وموثوق بها،

ولكن الأمثلة السابقة توحى بوجود علاقات مشتركة وثيقة بين مقدمى المعلومات فى ثلاث حالات هى:

- عندما تكون المعلومات متاحة للجميع.
- عندما تكون المعايير معروفة ومفهومة للجميع.
- عندما يكون ما يراد تدرجه ذا فائدة كبيرة.

3- 8 إحصاء القرية بالمشاركة:

عند الاشتراك فى وضع خرائط التوزيع الاجتماعى، يرشد أفراد القرية الغرباء إلى المواقع المختلفة بالقرية. وقد طور شيلو فرانسيس 1991 هذا النموذج فى الهند لاستخدامه فى الإحصاء بالمشاركة. كالخرائط مثلاً المتعلقة بالأوضاع الصحية وعليها تستخدم رموز متنوعة لتدلل على مواقع ونماذج مختلفة من المعنيين، كل بحسب حالته الصحية. وقد تعود القرويون على استعمال البذور بمختلف أنواعها لتمثيل البشر عند إجراء الإحصاءات السكانية. كما ابتكر كل من أنوسودا وبيريومال نيكر من قرية كيثانياكانباتى قرب مادوراى فى منطقة تاميل نادو طريقة تتمثل فى تخصيص بطاقة لكل أسرة تمثل عليها بيانات الأسرة بالرموز.

وقد جرى فى قرية رمزامى باتى التعداد السكانى بطريقة (التدقيق الثلاثى) وذلك قرب نيروشولى بمنطقة تاميل نادو فى مايو 1991.

وضمن برنامج تدريب عبر أسلوب الـ PRA نظمته سبيش (Speech) وهى منظمة غير حكومية إستمانت بأربعة مجموعات من القرويين، تضم الواحدة منها بين 5-15 فردًا استخدمت طرقًا مختلفة

للتحليل وعرض النتائج، حيث قامت اثنتان منهما برسم الخرائط الاجتماعية على الورق بينما قدمت إحدى المجموعات نموذجًا مبدئيًا للقرية اشتمل على بطاقة لكل أسرة، أما المجموعة الرابعة فقد نفذت تعدادًا على أرضية غرفة استخدمت فيها البذور لتمثيل المعدودين. وقد توصلت كل مجموعة إلى رقم نهائى يمثل مجموع سكان القرية واشتركت جميعها فى النتيجة النهائية وهى 355 شخصًا.

8-4 : بيانات هطول الأمطار

لقد اتضح أن المزارعين يستطيعون التوصل إلى تقديرات سريعة عن مقدار الأمطار التى تهطل كل شهر. ففى عام 1988 استطاع مزارعان فى منطقة ولو الإثيوبية تقديم تقديرات عن عدد الأيام المطيرة لكل شهر خلال السنوات الخمس الأخيرة. كما بينوا النمط الذى كانت الأمطار تهطل وفقه إبان طفولتهم (كونوى1986 : 52 - 5 ERCS, 1988 ,188). والطريقة الأكثر شيوعًا عندهم هى أن يضعوا اثنى عشر حجرا فى خط لتمثل شهور التقويم المحلى ثم يقدرون معدلات الأمطار، إما باستعمال عيدان مكسرة ذات أحجام متفاوتة، أو بذور أو بالوسيلتين معًا، لتوضيح عدد الأيام المطيرة فى الشهر. أن بعض المزارعين فى الهند يفضلون قياس عمق التربة الرطبة خلال أيام الشهر باعتبار أن ذلك المقياس أقوى ارتباطًا بالزراعة (جى. ماسكارنهاس لكارناتاكا وسام جوزيف راجسان) ومن التحسينات التى أدخلتها نساء قرية غالكادا بناحية بادولا سريلانكا عملية المباعدة بين حبات البذور لتوضيح توزيع الأيام المطيرة خلال كل شهر.

والسؤال الذى يطرح نفسه هو : ما درجة مصداقية مثل هذه البيانات؟، فقد وجد أنها كثيرًا ما تختلف مع البيانات المسجلة فى أقرب محطات رصد هطول المطر. فعند خزان نوجو مثلاً فى إتش . دى . كوته بكارناتاكا اكتشف تباين فى أغسطس 1990 ولكن لم يتم تحليله. قام (بريتى 1990) بتحليل بيانات المزراعين فى ستة جمامات لمياه الأمطار فى كينيا اختلفت فيما بينها كما اختلفت عن البيانات التى سجلتها محطة مجاورة لرصد معدلات الأمطار وقد عزى الاختلاف إلى كمية المطر من نقطة إلى أخرى، برغم احتمال أن يكون المزارعون قد وقعوا فى أخطاء ولم يستبعد (بريتى) هذا الإحتمال. وإلى اليوم لم يأتنا تحليل مفصل للمقارنات إلا من نيبال، ففى مايوم عام 1990 أوضح المزارعون للمرة الأولى عدد الأيام المطيرة فى كل من أيام الشهر، ومقدار المطر فى كل منها، باستخدام البذور للأيام والعيدان لمقادير الأمطار واستطاعوا خلال45 دقيقة أن يقدموا نموذجًا للمتوسط العادى للسنة، ونموذجًا آخر لما اعتبروه نمطًا لا يتكرر إلا مرة كل خمس سنوات. ويعتبر التحليل المضنى الذى قام به غيرارد غيل عام 1991 بشأن مستوى إدراك المزارعين استنادًا إلى بيانات عشرين عامًا عن هطول المطر اليومى، يعتبر تحليلاً جديرًا بالاهتمام. ويكفى ما اكتشف فى هذا التحليل من أن بيانات المزارعين على الرغم من تفاوتها الظاهرى فى الأحوال التى اعتبروا فيها مخطئين- فقد تبين عند إمعان النظر فيها أنهم تفوقوا فى بعض النواحى على المتوسط المأخوذ من بيانات المحطة مجتمعة، كما أن العنوان الذى اختاره غيل وهو «كيف تبدو هذه البيانات حال مقارنتها بالبيانات الحقيقية؟» ينطوى على شىء من السخرية الناشئة عن الافتراض القائل بأن البيانات التى قيست بطريقة علمية هى الأفضل بالضرورة. إن الاستنتاج الأكثر توازنًا

هو القول بأن واقع الناس لا يتشابه، وأن واقع المزارعين يحتمل أن يكون مرتبطًا بالمنفعة الزراعية، وأن أحكامهم تتبنى على التجارب ذات الصلة الوثيقة بهم مع الأخذ فى الاعتبار الإطار العام، والأغراض المنشودة.

وتلك المجموعات الأربعة التى تمت الإشارة إليها من البيانات الرقمية، تؤيد جميعها أسلوب الـ RRA والـ PRA ولا أعتقد أننى قد استبعدت أى دليل سالب جدير بالمقارنة على أن الأمر لا يهم كثيرًا ما دامت النتائج النهائية متسقة. فقد أدهشنى توصل المجموعات الأربع فى قرية رمز اميباتى إلى العدد نفسه لسكان القرية وهو 355 شخصًا فجمعت الخرائط والرسومات التى اعتمدوا عليها، وسميتها، وصورتها. وهذا الدليل الإيجابى منذ ذلك الحين يوزع عبر نسخ من الشرائح، ولم أفكر إلا لاحقًا فى سؤال ما إذا تم أى شكل من أشكال تبادل المعلومات أو الأرقام بين المجموعات أم لا؟ وأعتقد أن ذلك لم يحدث. وأسأل أيضًا هل كان رد فعلى سيختلف حال انتهاء المجموعات إلى نتائج مختلفة؟ إن الخطر يكمن فى التسجيل الانتقائى للنتائج الإيجابية ونشرها دون غيرها، وكذلك الأمر بالنسبة لمعدلات تساقط الأمطار فى نيبال حيث درس نميل قياسات الأهالى بدقة ونشرها، ولكن هذا لم يحدث فى حالة كينيا، وكارناتاكا ولعل هذه التفاوتات كان من الممكن أن تكشف عن قدرات كامنة تحسب لصالح استنتاجات المزارعين لو أنها أخضعت لمزيد من التمحيص، كما كان من المحتمل أيضًا أن تكتشف أخطائها والمطلوب فى كل الأحوال، النأى عن الإنحياز فى أى من أحكامنا مع توخى الحذر كما ذكرنا أنفًا، ونشر ما يتوفر من معلومات تم جمعها بأسلوب الـ RRA والـ PRA ، خاصة بعد أن ثبتت صحتها، ومصداقيتها مقارنة بتوقعات المختصين والغرباء من الباحثين.

وكما هو الحال مع الـ PRA يعتمد الأمر فى كثير من جوانبه على سلوك الخبراء الغرباء عن المجتمع المعين، وعلى مواقفهم وما إذا كان لديهم من الوقت والصبر ما يعينهم على تمعن الواقع بدقة، وعن قرب، ويبين مثال أخير من نيبال يعكس عملية تعلم حقيقية عبر التدقيق الثلاثى (تعدد الأساليب للتأكد من صحة المعلومات) تضمنت مراجعة مشتركة بين الدارسين وتحليلاً ناجحًا، وتقييمًا متصلاً، وبعد عرض إحدى تطبيقات طرق الـ PRA أظهر عرض قام به فريقان من الغرباء نتائج متضاربة حول المواسم الزراعية وتغيراتها، وكانت استجابة كلا الطرفين بالعودة إلى القرية فى اليوم التالى لمراجعة المعلومات بالاشتراك مع الذين أدلوا بها، وأنجزوا ذلك فى شكل مجموعة واحدة مبتدئين بالسؤال التالى: «لقد تلقينا هذه المعلومات منك أمس، ولكن يبدو أن هناك اختلافًا هل تتفضل بمساعدتنا؟» وكانوا بالطبع يفعلون ما طلب منهم ثم تدفقت المعلومات، وبدأ النقاش والجدال بين أفراد القرية فيما بينهم، وبين الخبراء من خارج المجتمع. وتعتبر هذه التجربة احدى النتائج الجيدة للتطبيقات الـ PRA ، حيث ذكرت التوضيحات وأدخلت التصحيحات. فعادت مجموعة الباحثين إلى معسكرها فى تلك الليلة وهى فى حالة من الرضى التام . (جميس مسكارينهاس).

ولقد لقيت المفارقات فى النتائج ترحيبًا فى هذه الحالة إذ أن المقصود هو انتهاز الفرصة للتعلم والاقتراب من الحقيقة أكثر.

9 ـ الانعكاسات والواقع:

إن قدرة وجدوى أسلوبى الـ RRA و الـ PRA هى حقائق تجريبية، لذا لابد من شرحها للتوضيح.

وتكمن بعض التفسيرات فى التطبيق الفاعل للمبدأ الذى شرحناه

فى الفصل الخامس. ولكن هناك جوانب أخرى يمكن أن ندرس منها تجربة الـ PRA ونسلط عليها مزيدًا من الضوء، فقد ظل مبتكرو الجديد فى هذه التجربة وهم يمارسونها، يبحثون عن الوسائل الأفضل، أو التى ينتظر أن تكون نتائجها أفضل، ولكنهم لم يسعوا لتفسير ذلك إذ لم يكونوا يبحثون عن النظريات، والقواعد، بل عن سبل أفضل للتعلم والقيام بالمسئوليات، غاضين النظر إلى حد ما عن الأسئلة الخاصة بالكيفية. على أن ما فيه الكفاية من الخبرات قد تراكم الآن بما يعيننا على استنباط نظرية، أو تفسير ما من واقع التجربة.

ولعل أفضل التفسيرات يأتينا من استعمال كلمة الانعكاس، ونعنى به التحول عن الممارسة التى جرت عليها العادة إلى نقيضها، وذلك فى ظل تحول أكبر من مجموع قيمنا ومعارفنا إلى القيم والمعارف الخاصة بأهل الريف أنفسهم . إن التفسير الذى نحن بصدده ينطوى على إجابة السؤال الآتى: واقع من هو الذى يهم؟ والإجابة مبدئيًا هى **واقعهم هم هو *الذى يهم، فلنبدأ به اذن...***

وفى إطار ما ذكرناه آنفًا من انعكاس، نجد أن أنماطًا ثلاثة منه تتشابك مع بعضها بما يزيد من تحول الأنماط، والعلاقات، والممارسات المعهودة وليس من هذه الاتجاهات ما هو مطلق، ولكنها جميعها تعكس تحولاً عن الاتجاه المعهود إلى الاتجاه المعاكس له.

9-1 تحول الأنماط

أ-من المغلق إلى المفتوح.

عادة ما تكون المسوحات التقليدية معدة مسبقًا، وكل أسئلتها موضوعة بواسطة غرباء، واهتماماتهم مختلفة عما يهتم به أفراد القرية

كما أن ما يطلبونه هو استخلاص معلومات محددة. وحتى لو كانت أهداف هؤلاء ضمن دائرة الاهتمام الخاصة بالآخرين المضمنة فى آخر قائمة من الاستجابات المشفرة مسبقًا على الاستمارة، فإنهم قليلاً ما يهتمون بذلك، وإن فعلوا فإن ذلك غالبًا ما يؤدى إلى المشاكل فيما بعد عند إجراء فك رموز التشفير لاجراء التحليل الذى غالبًا ما تتطابق فيه الحقائق وتتلاءم مع الإطار الذى عهدناه.

ويحدث التحول فى هذه الحالة من المغلق إلى المفتوح. وخلافًا لمعاينات الاستبيانات فإن المقابلات شبه المنظمة أكثر انفتاحًا وتفوقًا بسبب سمتها الحوارية ومن الممكن أن يستعين الباحث بقائمة مراجعة يعود إليها بين الحين والآخر بدلاً من ان يوجه مجموعة محددة من الأسئلة كما يحدد قيمة معينة لموضوعات بعينها مثل الاستقصاء وتتبع الخيوط التى تقود إلى النتائج، والقدرة على توليد الابداعات أثناء الحوار. كما أن الوسائل الأخرى الشائعة فى الـ PRA مثل رسم الخرائط والنماذج بالمشاركة، وترتيب الأولويات وتسجيل النقاط المحرزة، واستخدام رسم (فن) (وشاباتى) وترتيب الناس على أساس ثرواتهم. جميع تلك الوسائل تهيئ للأهالى حرية التعبير عن معارفهم وقيمهم تمكنهم وتشجعهم، فالتحول هو إذاً من كل ما هو معد مسبقًا إلى أداء المهام على نحو جماعى، وبالمشاركة.

ب - من الفرد إلى الجماعة:

تتطلب مسوحات الاستبيانات أن تكون المعاينات مع الأفراد أو الأسر. حتى تكون النتائج بيانات منسجمة قابلة للتحليل . أما فى حالة الـ PRA وبتركيز أكبر مع الأفراد تكون المقابلات شبه منظمة مع

الجماعات، (غراندستاف وغراندستاف 1987-135. ويمكن أن يدور النقاش مع الأفراد، وهذا ما يحدث فعلاً، مع ملاحظة وجود نشاط جماعى أكبر. ويتوقع ظهور اختلافات ثقافية، واجتماعية ، وغيرها، وللمجموعات سلبياتها المعروفة مثل سيطرة فرد واحد أو أكثر على المجموعة. أما الجانب الإيجابى فى أسلوب الـ PRA هو أن التقارير التى يخرج بها المشتركون تتصف بأنها جيدة، وذات ميزات خاصة. وخلافًا للفكرة الشائعة، فإن المواضيع الحساسة تخضع للنقاش بإستفاضة وسط المجموعات، فى حين أن الأفراد لا يرغبون فى مناقشتها لوحدهم مع الغرباء من الباحثين.

وعمومًا يتنامى الحماس الإبداعى الجماعى، خاصة عند رسم الخرائط والنماذج، إذ يعرض الأفراد أعمالهم على بعضهم البعض، ويشتركون فى مراجعتها بشغف واستمتاع شديدين، إذ يملأ المشاركون الفجوات التى يخلفها مشاركون آخرون، ثم يضيفون ويصححون التفاصيل.

إن للمجتمعات دوائر معرفية تتداخل فى بعض الجوانب، فتتيح مجالاً أوسع للتصحيح المتبادل.

جـ. من الشفهى إلى المرئى:

ومن خلال التفاعل بين الغرباء والأهالى نحصل على مقياس لما هو تلقائى وعفوى وما هو رسمي وصارم. بدءًا بالمعاينة الجاهزة الأسئلة مع الاستبيان، مرورًا بالمعاينة شبه المجهزة تصحبها قائمة بمداخل المواضيع (غراندستاف وغراندستاف 1987ب) إلى أسلوب المحاورة (سكريمشو وهورتيدو 1987). وعن طريق المعاينات والمحاورات أحيانًا

يسأل الغرباء أسئلة يحاولون عن طريقها استخلاص المعلومات ممن يسألونهم. وفى أثناء ذلك كثيرًا ما تلتقى الأعين، ويكون الخبير الغريب مسئولاً عن حفظ النظام، ويتحكم إلى حد كبير فى تحديد المجموعات. ويستجيب الشخص الخاضع للمعاينة، وهو يعى جيدًا التفاعل مع شخص يريد أن يبحث عن معلومات . ويكون نقل تلك المعلومات أو تبادلها شفهيًا، وبمقارنة ذلك مع أسلوب الـ PRA تجد أن المحيط تغلب عليه الوسائل المرئية، وذلك من خلال عدة أشكال من المشاركة فى رسم المخططات، يتضمن ذلك الخرائط الاجتماعية وخرائط التعداد، والموارد، والنماذج، والتحليل الفصلى. وتستخدم أشكال (فن وشاباتى) والأشكال الدالة على الاتجاه العام، والتدرج والتدريب، والتسجيل. إن الأساليب المتنوعة للاشتراك فى رسم البيانات هى بطبيعتها معتمدة على الوسائل المرئية، وعادة ما تكون مفتوحة لمجموعة بأسرها، ليس فقط لفرد أو أسرة واحدة. وتتغير العلاقات عند اشتراك المجموعة فى رسم الأشكال التوضيحية. فقد يحدد الموضوع أو يقترحه على الأقل الغرباء من خارج المجموعة ودورهم المطلوب ليس استخلاص المعلومات عن طريق الأسئلة بل ابتكار طريقة لتحليل المعلومة وتقديمها فالغرباء يسهلون الدور والأهالى المعنيون يؤدونه. وكما يتخلون عن عادة التحكم لصالح الأهالى الذين يبدأون من ثم فى تحديد الأجندة والمجموعات، والتفاصيل، مستعملين المقاييس، والمواد الخاصة بهم مثل، الأرض، والحجارة، والرمال، والبذور (للعد) والعيدان (للقياس)... إلخ. ويقل فى هذه الحالة تلاقى أعين الغرباء مع الأهالى، ويقل شعور الأهالى بوجود هؤلاء وتبدأ المعلومات فى التدفق بأسلوب تراكمى، وتتم مقارنتها لأغراض المراجعة آليًا، وكثيرًا ما يشترك فى ذلك العديد من

الناس، وتتلاقى معارفهم، فإذا رسمت ست نساء خريطة للتعداد فى قريتهن، وبانت فيها النساء، والأطفال، والمعوقين إلخ فإن كل معلومة لا تأتى منهن جميعًا، بل نجد أثنين أو ثلاثة يعرفن ما تجهله الآخريات فى أمر معين وهكذا ويكون النقاش حيًا، لأنهن جميعًا يشاهدن أمامهن ما يقال، وحينها نجد أن الأشكال التوضيحية، لا البشر هى التى تجرى عليها المعاينة. ويمكن أيضًا لأساليب المشاهدة أن تعين الضعفاء قليلى الحظ.

إن معرفة الأشياء المشاهدة مستقلة عن معرفة القراءة والكتابة، وتكاد المعرفة البصرية أن تكون أداة مفهومة لدى الجميع (برادلى 1992) . فالأشكال التوضيحية تتساوى القدرة على فهمها بين الأميين وغيرهم، خاصة عندما تكون الوسيلة المتاحة والمألوفة هى الأرض. وبإمكان الأميين رسم الأشكال التوضحية على الورق أيضًا ففى يونيو 1992 بمنطقة كيتيو فى تنزانيا، قام شاب من قبيلة الماساى غير عابئ بسخرية رفاقه منه برسم خريطة دقيقة التفاصيل لقرية كبيرة معتمدًا على ذاكرته فقط. كذلك رسمت نسوة أميات بتاريخ مارس 1992 فى باكستان أشكالاً معقدة تبين مزارعهن، ومنازلهن مع التفاصيل الداخلية والخارجية، والدروب التى تصل بين مختلف أجزائها (بيرز، كو، جولز ، برتى). وقد أشار تونى جيبسون 1991 وهو يصف تجربة مؤسسة نيبرهود للمبادرات فى المملكة المتحدة إلى أن القادرين على الحديث، كانوا يربحون الجولة على الدوام تقريبًا. أما إذا وضعنا نموذجًا مجسمًا لمنطقتهم السكنية، فإن الخجولين منهم يستطيعون أيضًا إيضاح، ووضع أفكارهم.

إن الأشخاص الشديدى الحياء يمكن أن يقللوا من شأن أفكارهم، مثل هؤلاء عادة ما ينتظرون أن يبتدر الآخرون النقاش حول تلك الأفكار، ليرددوا من بعدهم «نعم أنا أتفق معك فى هذا الرأى» وبالمثل نجد أن وضع الخرائط والمصفوفات جماعيًا يمكن النساء المهمشات من التعبير عن آرائهن بطريقة عملية لا تستلزم المواجهة مع رجال من طبعهم السيطرة على الموقف.

جدول (٣)

جدول يفارق بين الطرق السمعية والبصرية		
	الوسائل الشفهية معاينات حوار	الوسائل المرئية المشاهدة الأشكال والرسومات
دور الغرباء	باحث	يأخذ بزمام المبادرة ويسهل العمل
وسيلة الغرباء	استقصاء المعلومات	تيسير العمل
تدخل الغرباء	مستمر	مبدئى ومحدود
دور أفراد المجتمع	مستجيبون	تقديم وتحليل
وسيلة أفراد المجتمع	فاعلة	فيها إبداع وتحديد
درجة وعى الأهالى بوجود غير الغرباء	غير عالية	منخفضة
تلاقى الأعين	كثير الحدوث	قليل الحدوث
الوسط والمواد المستعملة خاصة بـ	الغرباء	أفراد المجتمع
من الممكن للفقراء والنساء والمستضعفين أن	يهمشوا	يمكنوا
يتحكم فى التفاصيل	الغرباء	أهل القرية
تدفق المعلومات	تسلسلى	تراكمى
مدى إتاحة المعلومات للآخرين	قليلة وعابرة	متوفرة على نحو شبه دائم
من يأخذ المبادرة لكشف المعلومات الكاذبة	الغرباء	الأهالى
درجة المعلومات الخاصة بالزمان والمكان والمعلومات العرضية والعلاقات والتحليل والتخطيط والرصد	قليلة	عالية
ملكية المعلومات	يصادرها الغرباء	يمتلكها الأهالى ويتشاركون فيها مع الغرباء

إن الانتقال من أسلوب المعاينات إلى أسلوب المشاهدة، والحس، من أهم المرتكزات التى يعتمد عليها فى التطبيق الجيد لمنهج الـ PRA ومن الممكن استخدام الرسومات كوسيلة قائمة بذاتها للتفاعل مع وبين أفراد المجتمع، غير أنه من الممكن أن تكون أيضًا جزءًا من المقابلات شبه المنظمة، وهى أيضًا وسيلة جيدة بالنسبة لأفراد المجتمع للتعبير، والتحليل، وتبادل المعرفة والخبرات.

فالرسومات إذًا تفتح أجندة للنقاش من خلال رسم الخرائط، وجداول تدرج الأفضليات، والرسومات البيانية الأخرى، مما يتيح الفرصة للنقاش المثمر، وبالرغم من ذلك فهى من أكثر الأدوات المستخف بها، إذ أنه وأثناء المقابلات واستعراض الرسومات تظهر كمية من الأسئلة لم تكن أصلاً مضمنة فى قائمة الموضوعات (بيرز كوم، جيمس، ماسكرينهاس). إن الجمع بين وسيلتى الحوار والمشاهدة ، يصبح أكثر قوة من استخدام وسيلة واحدة منهما حتى وإن تم استخدامها بشكل مكثف.

من الإحصاء إلى المقارنة:

لما كان التدريب المهنى التطبيقى، يسعى للوصول إلى مقاييس مطلقة فإنه إذا ما أريد للمسارات أو التغيرات أن تحدد، أو للظروف بين أفراد الأسرة أن تقارن، أو الأمكنة فإن ذلك لن يتم إلا من خلال المقاييس التى توضع إما فى أزمان مختلفة، أو فى أماكن مختلفة. إن اهتمامنا المفرط بالأعداد للسؤال بصيغة «كم هذا؟» عن مسائل فى غاية الحساسية مثل الدخل. وهى صيغة تبذر بذور الشك، وتهدم الصلة بين الناس فضلاً عن تقديمها لبيانات خاطئة ومضللة.

وبرغم ذلك فإن كثيرًا ما تنشأ الحاجة للقيم النسبية باعتبارها الشئ الوحيد الذى تتطلبه تلبية الأغراض العلمية. والمقارنة ليست أسرع فحسب، بل أن لها مزاياها الخاصة حين يتم التدرج حسب الثروة على مقاييس معينة. وبإدخال عمليتى الانعكاس والحكم، فإنه يسهل التعبير عنها بشكل أفضل مما تفعله المقاييس. كما أنه يمكن إستخلاصها بالنسبة للتغيرات والمسارات، دون الإعتماد على بيانات قاعدية، لأنها أقل حساسية كما تم توضيح ذلك من خلال الوضع التراتُبى للثروة، والرفاه الاجتماعى، والتحليل الموسمى: فالاستفسار عن الكيفية التى يقارن بها الدخل بين الشهور، يبدو أكثر سهولة على الحكم وأقل إثارة للقلق من الأرقام المطلقة. «كما ويمكن للمقارنة كما هو الحال بالنسبة للتدرج الجدولى» أن تستخلص فى مدة زمنية وجيزة ثروة هائلة من المعلومات والأحكام، يتعذر تحصيلها دون جهد، ومشقة كبيرة، بالوسائل الأخرى. أضف إلى ذلك أن الاتجاهات، والمقارنات، والموازنات تعطى مجالاً للمشاركة الحيوية بكل ما تحويه من مكاسب فى التدفيق الثلاثى، والتعلم المطردين. فالمقارنة إذن أسرع، وأقل تكلفة وأكثر مصداقية من الإحصاء.

9-2 عكسيات السيطرة: من الاستخلاص إلى التمكين.

يتشابه كل من أسلوب استبيان المسح التقليدى، وأسلوب البحث الاجتماعى الأنثروبولوچى فى سمتهما الإستخلاصية، برغم اختلاف الطرق التى يتبعها كل من الأسلوبين. ففى حالة اللقاءات الخاصة بالاستبيان يمسك الطرف الذى يدير اللقاء بزمام المبادرة، ويتحكم فى إدارة اللقاء بينما يستجيب الطرف الآخر، ويرد على الأسئلة ولا تقتصر

مهمة الطرف الأول على توجيه الأسئلة، وتصنيفها فحسب، وإنما يقوم بتسجيل ما يتلقاه من استجابات أيضًا.

نلاحظ أن موسر وكالتون لم يضمنا كتابهما «مناهج المسح فى الإستقصاء الاجتماعى» سوى مداخلتين فقط لكلمة الطرف المستجيب فى حين نجد فى نفس الكتاب إثنين وثلاثين مداخلة لكلمة «استجابة». ويتضح أن الإهتمام المهنى بالبشر «بوصفهم الطرف المستجيب» أقل من الإهتمام بكونهم بشرًا. ويعود هذا الاهتمام بالاستجابة إلى كونها المادة الخام التى يجب استخراجها وتجميعها، وترحيلها، إلى حيث تتم معالجتها ويجمع الناتج منها ويصنف، ويشفر، ويحصى ثم تحدد العلاقات التى تربط بين أجزائه.

وهدف الأنثروبولوچى التقليدى جمع البيانات التى ستحلل وتكتب بعيدًا عن الحقل. وتتطلب المراقبة المشتركة علاقات أكثر حدة، فى إختلافها عن المسوحات الإستبيانية رغم التقاء المنهجين فى الهدف الأساسى.

يهدف الباحثون فى أنثروبولجيا التنمية، إلى إفادة المجتمع فى مجال عملهم بأسلوبهم الخاص، ويعدل الكثيرون منهم ما يتوصلون إليه من نتائج لأسباب أخلاقية. وقد كان الدافع دائمًا وما يزال هو البحث العلمى ومعالجة البيانات المستخلصة حتى تصلح لتضمينها فى مقالات أو بحث خاص للحصول على درجة الدكتوراه.

وعلى نقيض ذلك فإن دافع الـ PRA هو قلب علاقات الهيمنة، والهدف هو بدأ المعالجة، أكثر منه جمع البيانات ولذلك سلم زمام

المبادرة للناس، حتى يلعبوا دورًا أساسيًا فى كل ذلك، فى حين يكون الباحث مجرد عامل مساعد فيها.

ويسعى الـ PRA إلى تمكين الباحث من التعلم من خلال تبادل المعلومات بما يدفع الناس إلى التحليل وإمتلاك المعرفة. على أن المثالى والواقعى لا يتطابقان هنا على نحو دقيق كما هو الحال بالنسبة لبقية المجالات الأخرى أيضًا. إلا أن هذا لا يمنع من وضع مخطط عام للشكل المثالى عبر عملية متصلة يتمكن من خلالها الناس من فحص وتقديم وتحليل المعلومات وعرضها مما يضيف معرفة جديدة إلى ما يعرفونه أصلاً. وقد يتحقق هذا على سبيل المثال من خلال أعداد خريطة لمستودع مياه بالمشاركة، يستخدمها السكان المحليون. لتحديد الظروف المائلة وما يمكن القيام به من عمل ثم مراقبة ما اتخذ من خطوات وما طرأ من تغيير وقد يتحقق ذلك أيضًا من خلال مسح الغابات وترتيب وتحديد القرارات الخاصة بحمايتها، وتشجيرها، وإدارة مواردها. وقد يتحقق ذلك أيضًا من خلال طرح الأنواع الأساسية لمجموعة متباينة من المحصولات، حتى يتمكن الناس من تحديد خصائص النوع الذى يرغبون فى تجريب زراعته.. والهدف هو تمكين الناس من الطرح والتقديم، والمشاركة فى تحليل وزيادة معارفهم مع بدأ مراحل العمل. والهدف الأساسى أيضًا هو دعم المعرفة، وتعزيز الثقة، والقدرة على المطالبة، وإستمرارية العمل. فبدلاً عن التسلط والتدخل، يسعى أسلوب الـ PRA إلى التحفيز وشحذ الهمم ومن ثم التمكين.

9-3 من التحفظ إلى الإلفة. ومن الملل إلى المرح.

يشاع على نطاق واسع عن القرويين أنهم حذرين دائما، ويتحفظون تجاه الغرباء، كان ذلك من أجل تحقيق مكاسب لهم، أو تفادي أضرار قد تقع عليهم، ولهذا يسعى الـ PRA إلى إيجاد الوسيلة التى تحقق الإلفة بين هذين الطرفين، وقد عبر بعض الباحثين فى مجال الأنثرلوچيا الاجتماعية، عن شكوكهم تجاه السرعة التى يمكن بها تحقيق الإلفة لمعرفتهم العميقة بأنه لتحقيق علاقة عميقة مع مجتمع القرية لابد من فترة طويلة من التهيئة والمعايشة. إلا أن تجربة PRA قد أكدت أن الإلفة تتحقق بسرعة أكبر، حيث يكون سلوك الغرباء سليمًا، وحين يستخدم أسلوب المشاركة. ويتطلب ذلك التريث واحترام الآخرين ووضوح الشخصية المشاركة، والإجابة على أسئلة أهل القرية، والتعامل معهم بصدق وإبداء الرغبة، والحماس، وتوجيه الأسئلة إليهم طلبًا للتعلم. كما أن على الباحث أن يتعلم طرقهم وما يفكرون فيه، وما يعتقدونه.

لقد كانت النظرة التقليدية إلى العمل الميدانى تنحصر فى أنه شاق، ومؤلم، ومستنزف للوقت المبذول فى جمع البيانات. إلا أن موسر وكالتون قد لاحظا (296 - 1971) أن رغبة الباحث فى المسوحات الميدانية ستضمحل حتمًا بعد حين. كما أورد (بلتو وبلتو، .1945 1978 .1978) مثالاً لباحث أنثروبولوچى (كوبن) ضحى بعام كامل من عمره فى العمل الميدانى جامعًا لبيانات شملت 176 فردًا ، وخرج من كل ذلك ببعض الشكوك حول صحة بعض البيانات التى جمعها. ومضى المؤلفان فى القول بحاجة بيانات المسح المستقاة عن طريق

الاستبيانات إلى الفحص، والمقارنة مع مناهج أخرى حتى خلص المؤلفان إلى الآتى:

«من الواضح أن بيانات البحث الكمى أو أى طرق قياسية أخرى تتطلب الدعم من جانب الشريك فضلاً عن الوسائل الأخرى غير الرسمية لاستقاء المعلومات مثل المقابلات شبه المنظمة، وغيرها من الأدوات. والعكس صحيح أيضًا فى بعض الأحيان». والدرس الذى يمكن تعلمه من كل هذا . كما أوضح كوبن أن البحث الميدانى ينطوى على الكثير من العمل الطويل الممل المستنزف للوقت من ناحيتى الكيف، والكم. (المرجع السابق 4-1994)»

ويعانى أسلوب البحث بالمشاركة السابق من طول الجمود والقدم. أما المشروع الإرشادى فى تكنولوچيا التخزين الأمثل للحبوب فى قرية بواكيرا شينى التنزانية، فقد تضمن ضرورة تواجد فريق ميدانى بالموقع لمدة ثمانية أسابيع، وقد اعتبرت هذه المدة فترة قصيرة للتحاور، ومع ذلك بدأ تطبيق المنهج التحاورى، مستنزفًا للوقت والجهد (دومًا (1973: 203-213)

والتباين مع منهج الـ PRA يبدو حادًا. فالحوارات المهنية محفزة ومثيرة للإعجاب فى نفس الوقت. كتب (ولف ڤانق باير، 8 ;1988) عن رعاة الماشية النيچيرين الذين نظموا زراعة النباتات العلفية قائلاً : «لقد كان الرعويون شغوفين جدًا بتبادل معارفهم عن النباتات العلفية معنا، ولم يكونوا أقل استمتاعًا باللقاءات التى أجريت معهم منا. كما (كتبت آندى انجلس 40 : 1991) وهى تقارن بين منهج الـ PRA والمسح الاستبيانى عن الغابات وحطب الوقود فى سيراليون قائلة بأن

«منهج الـ PRA يمكن الطرف المستجيب من الإستمتاع بالأنس المهنى الذى يدار عن أنماط حياته وعادات الطهى لديهم مثلاً، بدلاً عن إخضاعه لاستبيان طويل يحتوى على 278 سؤالاً مقحمًا، ومفتعلاً يوجهها الواحد تلو الآخر، باحثون ملولون».

أما بالمقارنة مع منهج الـ PRA فيبدو التباين أكثر حدة، لأن البيانات لا يجمعها الوافدون الغرباء وإنما يقدمها الأهالى المحليون . وعلى حد تعبير دفا فارام (مذكرات الـPRA (10:13) «فإن الغرباء لا يملون مطلقًا تكرار العمل الميدانى، لأنه ممتع دائما، وما يتم تبادله يفوق التصور، بل ويثير الدهشة فى بعض الأحيان. أما بالنسبة للأهالى المحليين، فإن العمل الإبداعى الذى يصحب مشاركتهم فى عملية التقديم، والتحليل ممتع للغاية بالنسبة لهم، فضلاً عن أنه وسيلة للتعلم من خلال التعبير، والتبادل، وتنمية ما لديهم من معارف سابقة.وقد جرت العادة أن يجد الغرباء أنفسهم بلا مهام، حين يتعلق الأمر بزراعة نوع معين من الأشجار، أو المحصولات ، بمجرد أن تبدأ العملية وينهمك القرويون فى المناقشات والتقرير بشأن خياراتهم».

وقد حدث فى بوركينافاسو، أن مزق القرويون الخارطة التى توصلوا إليها بعد تحليل طويل، وتقديم للنماذج التى رأوا ملاءمتها لبيئتهم، ثم بدأوا العمل من جديد بحماس وعنفوان كبيرين. وما أكثر إنكباب الهنود لمرات عديدة فى وضع الخرائط والنماذج التى أجبرت الباحثين الغرباء على عدم طرح الأسئلة، وألا يقاطعوا أو يعيقوا إستمرار العمل الإبداعى، الذى يؤديه الفلاحون المحليون. فهناك إعتزاز وفرح بما تم ، تقديمه للآخرين. **وهكذا ارتبط منهج الـ PRA دائمًا بالفرح واكتشاف الذات.**

10ـ فى تفسير جهلنا بالأمس:

يظل اللغز قائمًا دون حل فى محاولة تفسيرنا لأسباب تأخر إلتقاء تلك الأنهر « فترة التسعينات » والتيارات المتباينة «الفصل الأول» ، وبداية ظهور الأساليب «الفصل الرابع» واقتناء قائمة بالمناهج والطرق إلى هذا الحد «الفصل الخامس» وإتمام التطبيقات العملية «الفصل السابع» ومدى إثبات صحة، ومصداقية منهجى الـ RRA و PRA الفصل الثامن» وإمكانية الاعتراف بقلب الأشكال وعلاقات السيطرة «الفصل التاسع» ولمدى إمكانية التعبير عن الإنتقال بالطرف المستجيب إلى مواقع القوة أو حتى الإستمتاع كما هو حادث الآن. فقد أذهلنى. على المستوى الشخصى - «كيف عجزت طوال هذه السنوات الماضية من عملى الطويل فى التنمية الريفية عن فهم هذا الأمر؟» وعلى المستوى العام أيضًا هناك لغز حول كيف مضى كل ذلك الزمن على المجتمعات النامية ليس فقط ليتم اكتشاف ثراء معرفتها، بل اكتشاف تلك القدرة الإبداعية والتحليلية العالية التى يتمتع بها أهل الريف أيضًا.

وينجلى بعض هذا الغموض إذا ما بحثنا عن التفسير داخل أنفسنا.

فقد «ظلت معتقدات، وسلوك معظم الباحثين كما هى فى شتى أنحاء العالم. وظل العلماء الزراعيون والعاملون فى الحقل الطبى والمدرسون، والموظفون وغيرهم يعتقدون أن معرفتهم هى العليا، ومعرفة الفلاحين وسكان الريف هى الأدنى ولذلك فقد ظننا نحن المهنيين أننا نتمتع باحتكار المعرفة الملكات التحليلية. ولذلك فمعظمنا إما حاضروا أهل الريف وهم يحملون (عصى الإمارة) أو أشاروا

إليهم بأصابعهم ترفعًا واستعلاءً فى الحديث، وإذا ما اقاموا لقاءات معهم، تحفزوا، وصبوا حممًا من أسئلتهم الغليظة، وكثيرًا ما قاطعوهم فى الحديث، وسدوا آذانهم عن سماع ما وراء الإجابات المباشرة. إننا كثيرًا ما تعالينا عليهم، وعميت أبصارنا عن روية واقعهم الخاص.واصبح سلوكنا مفسر لذاته. فالتعامل مع الريفيين باعتبارهم عاجزين، قد جعلهم يتصرفون وكأنهم عاجزين فعلاً، فأخفوا عنا رؤاهم بل أخفوها حتى عن أنفسهم. وعجزنا نحن عن مساعدتهم على التعبير، وتبادل معارفهم مع الآخرين. فلم يعد جهل وعجز الريفيين مجرد وهم ، ولكن صنيعة جهلنا واستبدادنا نحن».

ولكى تبدأ مناهج المشاركة فى العمل، فإنه لابد من توفر الظروف الملائمة لها. فمعرفة أخطاء الماضى ومظالمه، كما هو الحال فى الأبحاث الزراعية الخاصة بالمزارعين ضئيلة، ولابد من توفر الثقة، والكفاءة المهنية العالية، بين المنظمات العاملة فى مجال التنمية الريفية. ولابد من استخدام مناهج عديدة مثل منهج تحليل النظم الزراعية للاقتصاد البيئى، الذى لم يكن له وجود قبل الثمانينات.

وأخيرًا الدعوة لقيام نظام دولى للإتصال يتم عبره تبادل، وتداول هذه المناهج بين البلدان والمنظمات والنظم المختلفة على نحو ما حدث عام 1979 (خون كين،KKU 1985. 1987) وفى عام 1991. وعندها يمكن لهذه المناهج وأساليب المشاركة بمختلف أسمائها وأشكالها أن تتجمع وتلتقى، كما خيوط الفلسفة فكرًا وممارسة. ربما يكون ذاك وقتها المناسب.

11. المخاطر:

هناك خمسة مخاطر تواجه منهجى الـ RRA و الـ PRA لابد من معرفتها ووضعها فى الاعتبار:

أول هذه المخاطر الشطط والاندفاع.وكما حدث لأبحاث النظم الزراعية، يمكن أن تتضرر مناهج الـ RRA و الـ PRA من الاندفاع، والاستخدام الخاطئ للأساليب الجديدة والتمسك بالتعابير دون المضمون. ومن هنا تنشأ بعض المحاذير والمطالبة بمستوى تدريب يفوق حجم الكادر المؤهل الموجود مثل النظرة التبسيطية لاستخدام منهجى الـ RRA و الـ PRA ومطالبة الباحثين باستخدامهما دون التأكد من مدى معرفتهم الحقيقية بهما، أو دون التأكد من صحة اختيار من يكلفون بتطبيق هذين المنهجين.

الخطر الثانى هو التسرع: فلقد تحولت أهمية كلمة «السريع» فى أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات إلى عبء ثقيل لأنها كثيرًا ما استخدمت لأضفاء الشرعية على الجولات المتهورة ، المتحاملة، التى استهدفت تنمية الريف.

والنتيجة هى أنه بالرغم من أن جوهر منهجى الـ RRA و الـ PRA هو إمضاء الوقت الكافى للبحث الحقيقى عن الفقراء والتعلم منهم ومساعدتهم على تخطى ضعفهم، إلا أن التعجل وضعف الإحساس بالمسئولية قد أديا إلى نقيض تلك الأهداف، فلا الغريب بحث عن الفقراء، ولا استمع إليهم، ولا هو تعلم منهم.

إن منهجى الـ PRA و الـ RRA لا يكتسبا فعاليتهما إلا حين يتوفر الزمن الكافى لذلك.

أما الخطر الثالث - فهو الشكلانية، وهو أكثرها تعقيدًا على مر السنين. فمع كل تجديد وابتكار، هناك حاجة إلى وضع المقاييس ، والمعايير، ومن هنا تنشأ الحاجة إلى الكتيبات الموجزة، المتخصصة، وهى بالرغم من فائدتها كمصدر هام للمعلومات لاسيما بالنسبة للمدربين إلا أنها قد تضر أيضًا فمع كل منهج أو طريقة جديدة تبدأ هذه الكتيبات بأحجام صغيرة ثم سرعان ما تتسع. وعلى سبيل المثال أدى البحث فى مجال النظم الزراعية إلى تأليف كتيبات أصبحت مشكلة فى حد ذاتها لضخامة حجمها. ومن أمثلة ذلك كتاب «دعم مشروع النظم الزراعية» بمجلداته الأربعة «1968» الذى يزن ما يقدر بحوالى 3.6 كيلو جرام..

فالمخاطر واضحة إذن ، طالما أن التدريب يعتمد على النصوص ويستغرق زمنًا أطول. فالذى يحدث هو أن الزمن المتاح للدراسة النظرية، داخل قاعات الدرس أكبر من الزمن المخصص للتطبيق، وممارسة العمل الميدانى، فيخسر الباحث أهم شئ فى المنهج . ولربما كان لبعض كتيبات الـ PRA فى الهند إيجابياتها، إذ أرغم الدارسين على التعلم من بعضهما البعض، لا من خلال الكتب ، ومن تبادل ما يعرفونه ومن تجاربهم فى الحقل. وأثبتت التجربة أن أفضل الإبتكارات قد حدثت حين بدأ الممارسون من حيث لا توجد أية قواعد يتبعونها. وفى 1988 أدخل قراندين أسلوب اللقاءات الفردية، إلا أن معظم الممارسين قد وجدوا أن اللقاءات الجماعية هى الأفضل. وبحلول منتصف عام 1991 تمكن ميرادا من جمع ما يزيد عن مائتى نظام معلومات، مستخدمًا أسلوب المقابلة الجماعية. ويعتبر كتيب رافى جياكاران من كريشى جرام

فايكاس، الصادر فى منتصف عام 1992 أضخم كتيب فى الهند. وحين يفتح القارئ الصفحة الأولى من ذلك الكتيب الضخم يجدها مملوءة بالخط العريض: **استخدم دائمًا أفضل أحكامك..** أما بقية صفحاته فلم يكتب عليها شئ

والدرس الذى يمكن تعلمه هو ان الممارس يجب عليه ان يشعر بحرية ان يبدأ، وان يخطئ ، وان يتعلم من خلال الممارسة . وأن إبداع الممارس، وبراعته، لا يتحققان من خلال الكتب وإنما من الإلتزام الشخصى، والوعى الناقد، والقدرة على التعلم من التجربة.

أما **الخطر الرابع** فهو الروتين الذى يقع فيه الممارسون من وقت لآخر. فهناك طرق عديدة للمسح الجماعى والنماذج ورسم القطاعات، والتحليل الموسمى، والمقابلات الجماعية، والتصنيف، والتدرج وغيرها. إلا أن الممارسين سواءفى المنظمات، أو المناطق الريفية كثيرًا ما ينزلقون إلى الممارسة المعيارية الثابتة، بدلاً من البحث عن بدائل أخرى.

والواقع أن بعض الرتابة، والروتين، والتكرار، ضرورى ومفضل أحيانًا. إلا أن التجريب والابتكار والاختبار، والتعديل، والسعى، المتواصل للارتقاء بالممارسة هى بعض خصائص، وفعالية الـ PRA . وللحفاظ على هذه الخصائص، لابد من تبادل المدربين بين المنظمات والدول والقارات، حتى يكون للجميع نصيب فى المناهج ، والأساليب، والتجارب الخاصة بالعمل الميدانى.

الخطر الأخير هو الرفض، إذ قد يشعر العديد من الرواد الذين أسهموا فى حركة تيارات البحث بالمشاركة، والأبحاث التطبيقية

الجماعية، فى مجالات الأنثروبولوچيا التطبيقية، وتحليل النظم الزراعية الاقتصادية، وأبحاث النظم الزراعية، وفى منهج الـ RRA نفسه الذى أفاد منه الـ PRA ، قد يشعرون بأنهم لم يجدوا الاعتراف الكافى بهم وهناك آخرون، لا سيما الأكاديميون يشعرون أيضًا بأنهم أبعدوا، أو تم تجاوزهم، أو ربما شعروا بأن التطورات التى حدثت فى هذه الأوراق تشكل تهديدًا لوجودهم ولذلك يرفضونها. الأمر الذى يعنى حرمان طلاب الكليات، والجامعات، من فرصة استخدام مناهج وأساليب الـ PRA . والأمل الوحيد هو أن تساعد الروح الجماعية للمنهج فى جذب المهنيين إلى استخدامه، وتطويره لأنه ليس حكرًا على أحد وأن طبيعته هى الانفتاح على الجميع.

12 ـ الحدود، التحديات والإمكانات

فيما يلى نستعرض ثمانية من الحدود والتحديات والإمكانات

12-1 ما وراء أبحاث النظم الزراعية

تواجه النظم الزراعية مصاعب شتى من جراء تعدد، وتعقيد، وصعوبة التحكم فى الكثير منها، خاصة الزراعة المطرية فى الجنوب. ونلاحظ أن شتى مداخل المشاركة المعروفة باسم «تضامن المزارعين» . (رودس وبوث، 1982) والأبحاث الزراعية التى تمت بالمشاركة (تسامبدن، باس وثروب 1989) قد مضت باتجاه إلقاء عبء التحليل على المزارعين. وهذا بالطبع منهج اقتصادى فى توظيف زمن العلماء (تشامبرز وجيفنز 1986) إلا أن مثل هذه المناهج لا تزال فى مرحلة البدايات.

وقد أثبتت التجارب الرائدة فى الهند وتجارب جاكلين آشبى من

CIAT ، وكلايف لايتفوت، من ICLARM، وجولس بريتى من IIED وآخرون أن للمزارعين قدرات تحليلية، وتخطيطية، لم تكن متوقعة. (لا يتفوت وغيره) «مساعدة المزارعين الهنود والملاويين فى التخطيط لاستخدام الأسمدة فى مزارعهم ». أما أنيل شاه فقد نجح فى أن يساعد سافاسى بورا، من قرية قادهش من منطقة سوريند راناجار، مقاطعة جوجارت أن يرسم على الورق بيانًا للتاثيرات المستمرة والمفاجئة للرى فى المنطق.

وتوصل جوليس بريتى فى (باكستان) فى بداية 1992خلال إجرائه بعض التجارب التدريبية ، إلى أنه بوسع المتعلمين، وغير المتعلمين من المزارعين، القيام برسومات وجداول تفصيلية عن انتاجية مزارعهم بما فى ذلك نموذج ملفت للإنتباه قدمته احدى النساء. وفى الهند، وبتسوانا، جرى تطوير أسلوب زراعة العينات الجديدة، المراد زراعتها منذ عام 1992عن طريق توجيه الزراعيين بالمنطقة بإضافة عينة يحدد المزارعون خصائصها ويرغبون فى التوسع فيها بمساعدة العلماء. والتحدى الماثل الآن أمام المهنيين الغرباء أن يدفعوا هذه الخطى، ويمضوا بها نحو توسيع ونشر الأساليب بتحليلاتهم، المناهج، التى تمكن المزارعين من القيام بتحليلاتهم الخاصة، وتلبية حاجاتهم، وتحديد أولوياتهم ، مع تعريف العلماء بها. وإذا ما قدرالنجاح لهذا الاتجاه، فإن ما سيظهر على صعيد النشاطات، والإجراءات، والتدريب والمكافآت، والتثقيف المؤسسى، فى مجال التربية الزراعية، لن تقل عن كونه ثورة إلا بمقدار خطوة، أو خطوتين.

12-2السياسة البحثية والتغيير

على مستوى السياسات بدأ كل من منهجى PRA و RRA يكتسبان أهمية كبيرة فى السنوات الأخيرة بوصفهما مصدرًا غنيًا للأفكار والآراء. ومن أفضل أمثلة ذلك تجارب زيمبابوى وتنزانيا، وتشاد، والنيبال.

فقد استخدم منهج PRA و RRA فى زيمبابوى 1992 لاستقصاء آثار سياسات التعديل الهيكلى على النشاط الزراعى. أجرى هذه التجربة فريق من الباحثين فى منطقتين خلال ما يزيد عن الأسبوعين، أكمل فيها تقريره متضمنًا ما توصل إليه وتوصياته عقب انتهاء العمل الميدانى مباشرة. ولقى بالمقابل استجابة مباشرة أيضًا من الحقل، فى الجوانب المتصلة بالتسويق، والنقل، والمدخلات، والعرض، والأسعار والأمن الغذائى، وسلوك المزارعين، حيال سياسات التعديل الهيكلى. واستفاد منه كثيرًا أولئك الذين يضعون السياسات بإطلاعهم على آراء المزارعين، ونواياهم.

وفى تشاد أجرى مسح على مستوى قومى عام 1991فى محاولة للتعرف على طريقة فهم الناس للمشكلات المحيطة بأمنهم الغذائى، والحلول التى يستطيعون تقديمها. وقد اعتمد ذلك المسح على تقنيات RRA «بوشنان سميث 1992» . شارك ثلاثة عشر مساحًا فى خمسة وخمسين قرية، قضوا يوما واحدًا فى كل قرية تقريبًا. وأجروا مقابلات جماعية فى البداية أعقبتها مقابلات مع أفراد الأسرة استهدفت النساء خاصة (لضآلة تمثيلهن فى المقابلات الجماعية) واستند المسح على ثلاث سنوات تختلف فيها ظروف الطقس الواحدة عن الأخرى وتم

تنظيم البيانات وتحليلها برغم الصعوبات واستفاد المشاركون من الدروس التى تعين على تطوير هذا النوع من المسوحات. وقد تم العثور على ثلاثة أنواع مميزة لكل منها إستراتيجيته الخاصةبالأمن الغذائى الأسرى. وقد شكلت النتائج التى تم التوصل إليها تحديًا حقيقيًا للتفكير التقليدى السائد فى أنجمينا الذى كان يتمسك بالقول بأن المفتاح لرفع الإنتاجية هو حفز نظم السوق الحرة فيما يتعلق بالناتج الزراعى. وأظهر المسح أن السكان المحليين على دراية كبيرة بالطرق، والتقنيات الكفيلة برفع الإنتاجية. ولكن تعوزهم الإعتمادات الخاصة بالحرث والبذور المحسنة ونظم الرى ذات الكفاءة العالية. وفوق ذلك، فقد أظهر المسح بأن هذه المتطلبات أهم بكثير من تنمية التسويق الزراعى وحده.

مثال ساطع آخر، نسوقه من سياسات الأراضى فى تنزانيا (جونسون، وهوبن 1992) حيث نظم معهد تقييم الموارد التابع لجامعة دار السلام أربعة أنشطة لمنهج الـ RRA للمستوى المتوسط من طبقة صانعى السياسات، مساهمة منه فى عزم الدولة على إعادة تقييم سياسات الأراضى.وتم اختيار 4 قرى وكونت 4 فرق عمل، قضى كل منها 5 أيام فى احدى القرى الأربعة المختارة.

خلصت هذه الفرق من خلال التعلم المباشر من تقنيات الـ RRA أن سياسات الدولة ذات الاتجاه الفوقى، كانت خاطئة تمامًا، وأن الناس والمجتمعات ، لهم دراسة سابقة وما تزال فى تخطيط إستخدام الأراضى، وأن سياسات الفرض الفوقى للقرارات من قبل الدولة لن تجدى، وأنهم يحتاجون إلى نمط جديد من التفكير والممارسة. وقدمت الفرق المشاركة ما توصلت إليه فى سمنار، عقد لصانعى السياسات

العليا فجاءت توصياته متضمنة تغييرات جوهرية فى السياسات. وكانت دليلاً على حسن الانطباع الذى يمكن أن تخلقه مجرد زيارة قصيرة إلى منطقة ريفية وإشارة إلى مدى فعالية تقنيات الـ RRA وما تقدمه من رؤى وأفكار للمخططين، وصانعى السياسات. (المرجع نفسه ص 30).

أما المثال الأكثر رسوخًا ، واستقرارًا ، فيجيؤنا هذه المرة من نيبال، حيث تم تدريب أربع فرق انتشار صغيرة على تقنيات الـ PRA، ثم وزعت على مناطق مختلفة، وكان المقصود هو أن هذه الفرق ستستخدم بطريقة عفوية ما تعلمته من تقنيات بهدف استقصاء الجوانب المختلفة للسياسات، والظروف، وأن تقدم رؤى وآراء مقارنة لصانعى السياسات. وتم تطوير منهج آخر شبيه فى سيرلانكا «لم يعتمد على تقنيات الـ PRA" فى منتصف السبعينيات، إلا أنه لم يستمر» (سيناراتين، 1976).وإذا ما كتب لمبادرة نيبال النجاح، فإنها ستكون بمثابة طفرة للقيام بتطبيقات أوسع فى بلدان أخرى.

من هنا تبدو الإمكانية واسعة وكثيرًا ما مارست الدولة خداع نفسها باعتمادها على المعلومات والتغذية العكسية المضللة التى تصلها عبر القنوات الرسمية. وعلى عكس ذلك، ربما تمكن صانعو القرار من الحصول على معلومات صحيحة وجديدة يمكن الاعتماد عليها إذا ما لجأوا إلى التقنيات المحسنة لـ RRA و الـ PRA.

12-3 النهج والسلوك والتعلم

كثيرًا ما اعتمد كبار الموظفين والعلماء والأكاديميون القائمون على أمر التنمية الريفية على معلومات لا علاقة لها مباشرة بالواقع، بل أنهم

يؤسسون تحليلاتهم وممارساتهم على الجهل أو على معارف شخصية،عفا عليها الزمن. ولا تزال مفاهيم فوقية المعرفة، ومركزيتها، تعيش بإسم العلم، والحداثة حتى فى عقد التسعينيات.

ليس هناك ثمة جدل فى القول، بأن الريف سيكسب كثيرًا إذا ما تمكن كبار الموظفين وصانعوا القرار من أن يتجردوا من بزاتهم الوظيفية، ونزلوا إلى حياة الريف لكى يتعلموا منها. إلا أن النذر اليسير من ذلك لم يتحقق بعد.

الاستثناء الوحيد هنا، هو برنامج المفوضية الألمانية للعدل والسلام القائم على الحوار واستقاء المسئولين الوافدين لمعلوماتهم، عن طريق الإستماع لقصص حياة سكان الريف (كوشندورفر، لوسيوس، وأوسنر 1991). (وأوسنر 1992) وفى مستوى أقل هيكلية أبدى كبار المسئولين الهنود، حماسًا ملحوظًا للإستفادة من فرصة الاحتكاك، والحياة المشتركة مع سكان الريف لفترة ما دون تقيُّد بالبروتوكولات الرسمية. وعلى المستوى الشخصى فإن مناهج الـ **PRA** قادرة على **فتح آفاق جديدة وإتاحة الفرصة الواسعة لمثل هذه الميول وتمكن هذه المناهج المسئولين، والأكاديميين، والعلماء من الإحتكاك المباشر بأهالى الريف دون قيود رسمية، مما يساعد الطرفين على الإستفادة من التجربة. كما أنها تتيح فرصة واسعة لاكتساب التجارب، والمعرفة، والتعلم المثير للمتعة الثقافية، المرتبطة بالواقع.**

إن النهج والسلوك يمثلان عقبة، يصعب تخطيها فى بعض الأحيان. وبوسع المسئول الحكومى الكبير، أو العالم الراسخ، أو الأكاديمى المرموق والعاملين فى المنظمات غيرالحكومية، أو فى

المجال الريفى، أو الصحى أن يتبنوا بحماس تقنيات الـ PRA أو يطرحونها جانبًا إذا ما انطلقوا من تجاريهم الشخصية، أو الظروف المحيطة بهم. ولا يزال هناك الكثير الواجب تعلمه فيما يختص بتسهيل عملية تغير نهج وسلوك الوافدين وفقًا لسياق الريف، ومتطلباته.

وهنالك بعض المناهج التى قد شُرع فى استخدامها أصلاً، ومنها نهج «التربيت على الكتف» الذى تبناه آنيل شاه الذى كتب عن مرافقته لمسئولين من منطقة غوجارات فى جولة عامة، بغرض الوقوف على مشكلات تعرية التربة قائلاً: «لقد أخطرتهم بأن جولة من ذلك النوع الذى يستخدم تقنيات الـ PRA تهدف لملاحظة وتفهم معارف المزارعين وإدراكهم، وذلك لإننا لا نقدم النصح، وإنما نطرح عليهم أسئلة مفتوحة بعيدة عن روح الوصاية. وأوضحت لهم أن ذلك أمر يصعب على المتعلمين عامة، ولا سيما المسئولين. ولذلك ما أن انتبه لأحدهم وهو يقدم النصح، أو يسأل أسئلة لا تخلو من الإيعاز، حتى أبدأ بالتربيت على كتفه، أو بتعديل سؤاله إلى سؤال مفتوح. وبنهاية النصف الأول من اليوم، كان قد أمكن تعلم الكثير من تلك الطريقة ، وكنا سنخسر حتمًا إذا ما اتبعنا أى أسلوب آخر» وهذا دليل على مدى حاجتنا للمزيد من التجارب، والتقنيات من هذا النوع».

وهناك ثمة تداخل بين السياسات، وما هو شخصى فى منهجى الـ RRA و الـ PRA وقل ما تم التطرق لآفاقهما. والمطلوب هنا هو تحديد كيفية الارتقاء ، وتمكين أكبر عدد ممكن من صانعى السياسات، وغيرهم على المستوى المحلى من التعلم المباشر فى الحقل من ومع

سكان الريف بما يمكنهم من وضع السياسات ، والممارسات، بحيث تتفق وظروف وأولويات الريف، واحتياجات الفقراء.

12-4 التوسع مع التأكيد على جودة النوعية

لقد ظلت قضية النوعية محل إهتمام مستمر فى كل المناقشات الإستراتيچية التى أجريت حول منهجى الـ PRA و الـ RRA . وقد أخلى مصطلح التحكم المكان، ليحل بدلاً عنه مصطلح التأكيد على الجودة والنوعية. إنطلاقًا من فرضية أنه لا يمكن لفرد، ولا مؤسسة، أن تقوم بعملية التحكم والمراقبة، والنتيجة أن التأكيد على الجودة هو أمر شخصى، وأن النوعية تعتمد على الأفراد الممارسين.

المعضلة الوحيدة هنا هى الكيفية التى يمكن بها تشجيع، وحفز المدربين ومن سيكونون ممارسين، والذين يتولون مهام التدريب مستقبلاً، بأن يبدأو بمبادرتهم هم. وتكمن الخطورة فى أن سوء الممارسة تؤدى على نحو مباشر لخسارة فادحة وإحباط كبير. وهناك فرصة كبيرة للتوسع، وتحقيق ذلك يعتمد على القدرات الشخصية. وهناك من يستطيع استخدام اللغة الصحيحة، خاصة فى المؤتمرات الدولية، إلا أنه يخطئ الحديث والسلوك فى الحقل، وتسيطر عليه نزعة الهيمنة، والقاء المحاضرات، والتدخل، ومقاطعة الآخرين، وروح حمل العصا الغليظة.

مع ذلك ربما كان هناك مخرج وحلول فى سبيل المزيد من التجارب الميدانية المشتركة والتدريب المشترك، والتربيت المتبادل على الكتف، والمزيد من فرص تعلم الناس من بعضهم البعض.

إن عبارات (ملحق A) **ابدأ، تعثر، صحح نفسك، شارك**، عبارة

عن محاولة لتشجيع اختبار وتطبيق مناهج الـ PRA على أرض الواقع، وكذلك لاختبار، وتطبيق مبدأ التعلم بالتجريب، والممارسة. ومن الحلم أن نتصور أننا سنجد الترياق فى عمليات مثل عمليات التنمية الريفية. ويواجه نهج الـ PRA مشاكل الانتشار، والتوسع، وتأكيد الجودة. ولذلك فما يمكن تحقيقه سيعتمد بدرجة كبيرة على الممارسين والمدربين. ويمكن طرح أسئلة فى هذا الشأن، مثل : ماذا كانت درجة الوعى الذاتى، والفعلى، والاعتراف بالخطأ، واستخدام الحس الذاتى فى جميع الأوقات، والسعى باستمرار إلى فعل الأفضل، وهل يمكن بناء ذلك كله فى جينات الـ PRA ، وإذا أمكن ذلك هل يمكن أن يكون كل من الـ RRA والـ PRA ليستا فقط مجرد مناهج تنتشر بنفسها، بل أيضاً أساليب تتطور بنفسها.؟

12-5 العدالة والتمكين

إن الإستخدام الجيد للـ PRA سيؤدى حتماً للتمكين. وأن الذين يعبرون ويشاركون بمعارفهم مسبقاً من خلالا الـ PRA، تثرى معارفهم وتزيد من خلال تلك المشاركة. والذين يحللون يصبحون أكثر وعياً من ذى قبل، ويتوصلون إلى فهم جديد أما الذين يخططون ثم ينفذون خططهم، يكون بمقدورهم التحكم، ومن ثم يتعلمون أكثر من خلال التجربة والممارسة.

إن معرفة ما إذا كان قد تم التمكين ، يعتمد على من تم تمكينهم، وعلى الكيفية التى تتم بها عملية التمكين ذاتها. فإذا كان من يتم تمكينهم هم الأشخاص الغرباء الذين يستغلون، أو أصحاب النفوذ المحليين الذين يسيطرون، فإن من الممكن أن تزداد معاناة الفقراء، والمجموعات المحرومة. وهكذا فإن عدالة وفائدة الـ PRA تعتمد على

الأفراد أنفسهم، الذين تتاح لهم عمليات التمكين، ومن ثم تشملهم الفوائد المتوقعة منها.

إن الاتجاه الطبيعى السائد هو ان الذين يتم تمكينهم هم الرجال دائماً، بدلاً من النساء، الأغنياء بدلاً من الفقراء، الأفضل وضعاً، بدلاً من الضعفاء.

والتحدى إذاً هو تناول واستخدام الـ PRA بطريقة تحدد وتمكن الضعفاء، وتتيح فرصاً للمستحقين عادلة، ومرضية.

إنه لمن حسن الحظ، أن الأدوات المتاحة تكفل القيام بهذه المهمة ومن خلال التعبير المتمثل فى رسم الخرائط بالمشاركة، ووضع قائمة بالأسر، والتدرج حسب الرفاهية، وتحليل الأحوال المعيشية، يمكن التصنيف إلى مجموعات تُميز حسب المعايير المحلية السائدة، ومن ثم يمكن لمجموعات المناقشة الموجهة أن تحدد الأولويات، ورغبات المجموعات المختلفة من الناس، مع التركيز بصفة خاصة على المجموعات المحرومة. ومن الممكن أن تكون الفوارق كبيرة جداً.

أوضح أليس ولبورن 1991، على ضوء نتائج تطبيقات أساليب الـ PRA فى سيراليون، وغانا، وملاوى، وبنغلادش الاختلافات العرقية، والعمر، والنوع، والوضع الاقتصادى، والخليط من كل هذه العوامل. وفى بحثهما عن الرعاة فى كينيا وجد جيرماى سويفت، وعبدى نور عمر 1991:56 اختلافات كبيرة ومذهلة فيما يتعلق بترتيب الأولويات من مجموع كلى من الدرجات بلغ 100 درجة، أعطى الأغنياء 87 درجة لإدارة المواشى، بينما أعطى الفقراء 7 درجات فقط من نفس الدرجة الكلية. وللتصويت على عدم امتلاك أى نوع من أنواع المواشى أعطى الأغنياء درجة صفر بينما أعطى الفقراء 49 درجة.

إن فصل المجموعات حسب اهتمام كل مجموعة، يؤدى إلى تمكين المجموعات الأكثر فقرًا وبطرق عديدة، مما يمنحهم الأمان الجماعى، والثقة المطلوبة لمواجهة الآخرين، لحماية مصالحهم.

بدأت منظمة العمل للشباب عملها مع المنبوذين فقط فى عدد من القرى فى جنوب الهند، فاكتسب المنبوذين الثقة، والقدرة، قبل أن يتم انضمام بقية القرى إليهم فى فترة لاحقة من البرنامج. وتقوم الـ Akrasp بتنظيم اجتماعات مع مجموعة من النساء والرجال كل على حدة، لاختيار الأشجار المختلفة التى يرغبون فى أن تحتويها مشاتلهم، ومن ثم مساعدتهم على تقريب الفوارق التى تظهر بينهم. إن جداول التدرج فى الرفاهية يمكن أن تساعد منظمة أجنبية فى استبعاد، واختيار من يعملون معها. وقد قامت بعض الهيئات «MYRADA» التى تعمل فى جنوب الهند باستخدام أساليب الـ PRA لتحديد المجموعات الأكثر فقرًا وأولئك الذين استفادوا أكثر من برامجهم.

يمكن استخدام أساليب الـ PRA أيضًا فى الرسومات، وحل الصراعات. فمثلاً استخدمت الرسومات فى تحديد نظام حماية البيئة، باستخدام الزراعة فى الفلبين لتوضيح الاختلافات فى المصالح بين المجموعات إثر بناء خزان صغير فى بحيرة يوهى. كان البحث يستهدف الوصول للإجماع حول الأولويات (كونواى ساجيس وكنولند 1989، وكونواى 1989). وبطريقة مؤسسة مبادرات الأحياء السكنية (المملكة المتحدة) فإن نموذجًا موسعًا للحى يسمح للناس بالتصدى للصراعات، وذلك بطرح الاقتراحات والسماح للأشخاص بالقيام برسم الرسومات التى يتفقون، أو لا يتفقون حولها دون حاجة لتحديد هويتهم. وعدم

تحديد الهوية هذا، يدعو إلى التباين، والاعتراض ويتيح قدرًا معقولاً للرسمية يمكن عن طريقة الوصول للإجماع بطريقة أكثر سهولة (جيسون 1991).

إن عملية تحديد مسألة اختلاف، وتباين المصالح، والتعبير عنها، وحل الصراعات تظل واحدة من مجموعة أساليب المشاركة. إن السنوات القليلة القادمة ستوضح ماهية الفائدة المرجوة من الـ PRA، مع ملاحظة أن أسوأ الأمور هو أن طرق المشاركة يمكن أن توسع إدراك المجموعات المحرومة، وتشجع تنظيماتها، وتنشط عملها، بطريقة قد تؤدى إلى رد فعل معاكس من الذين تعنى بهم أساليب الـ PRA فينقلب الوضع، بحيث يعودون إلى وضع يتسم بفقر، وضعف أكثر.

إن ما نأمل فيه هو أن الرسومات يمكن استخدامها لتخفيف حدة التوتر، وذلك من خلال توجيه النقاش فى اتجاه شيء محسوس، بدلاً من توجيهه للأشخاص.

ويمكن القول أن بحث هذا الموضوع يتطلب الالتزام والإحساس بالمسئولية والوقت. وهنالك مناهج الـ PRA معروفة بدرجة كبيرة لتوضيح مسألة تضارب المصالح. ولكن قلما توجد أساليب لمناقشة وحل الصراعات بطريقة عادلة. وربما فى مثل تلك الحاجة تتزايد الحاجة لاكتشاف مجالات لطرق مشاركة جديدة.

12-6 إيجاد البدائل للمسوحات

إن كل ما يتم إعداده لعمليات المسوحات فى الريف يكمن فى استبيانات المسح الريفى بالرغم من أنها تعد غير عملية، ومحدودة الفائدة إلا أنها ما زالت تجد الحماية الأقل وأنها لم تكن أبدًا عرضة لأى

مهدرات وذلك قياسًا بالموديل T من عربات هنرى فورد الذى ظل يتكرر إنتاجه دورياً بذات اللون وذات الشكل حتى أصبح معيارًا. والوضع متشابه أيضًا بتكرر ذات النتائج فى الاستفسارات الوطنية كما هو الحال فى الهند. فالاستبيانات ما زالت وحتى اللحظة هى الصنيعة الغالبة فى البحث الريفى، قام بذلك أكاديميون أو غيرهم من الباحثين.

وقد استمرت كل من الجهات المانحة، والحكومات فى الأصرار على الاستبيانات الاستطلاعية فى عمليات المتابعة والتقييم، وقد خصصت مبالغ لإجراء استطلاعات أساسية لتصبح معيارًا لمتابعة وتقييم مدى التقدم فى المشاريع المقبلة، ولم تجن أية فائدة تذكر من هذه الاستطلاعات، بصرف النظر عن جدوى استثمار الموارد فيها.

أما الأسباب فتشمل صعوبة التأكد من المقارنة السليمة بين الاستطلاع الأول والاستطلاعات التالية، وتقدير النتائج فى حالة عدم قيام المشروع؛ وفى إيجاد معايير للمقارنة، وتحديد المسببات.

لم يأت الوقت بعد لإعلان أن أيام نظام الاستطلاعات التقليدى، أصبحت تعد على الأصابع، فهى متينة وقادرة على البقاء مثل نموذج T، والجمهور شغوف بها وتستخدم (عدادين) كثيرين ليست لهم مهارات أخرى، وهى تجذب بعض الإداريين (كالأكاديميين والمستشارين) لأنها لا تفرض عليهم ضرورات العمل الميدانى، ولكن الاهتمام بنموذج (T) أخذ يقل مع تحسن وزيادة البدائل المتنوعة، وهناك نذير بأن الاستبيانات الاستطلاعية الكبرى قد تجابه نفس المصير: ذلك لأن المجلس القومى للبحوث الاقتصادية، ولعله أكبر منظمة للاستطلاعات فى الهند، باستثناء مركز «الاستطلاع القومى للعينات» ظل يجرب الطرق السريعة

وطرق المشاركة كبديل، أو كإضافة «للاستبيانات الاستطلاعية وبنتائج إيجابية» وعندما قام البعض بتحدى سام جوزيف، التابع لمنظمة «العون بالعمل» فى بانجالور، وهو من قادة الممارسين للـ PRA تمكن من تحديد طرق للـ PRA أكثر كفاءة لجمع كل المعلومات فى استطلاع أساسى وكما ذكرنا آنفا، فإن فرق الباحثين فى نيبال، وهو مدربون فى الـ PRA يحاولون خلف مفاهيم لها فى مواقع مختلفة، وفى آن واحد.

وإذا نظرنا إلى طريقة واحدة، وهى طريقة رسم الخرائط بالمشاركة، نجد أنها أصبحت ذات فعالية كواحدة من عناصر التنوع، وقد كتبت (سلينا أدجيبانغ ـ عاصم) من جامعة أوبافيمى أولوو، فى آيف ـ آيف، بنيجريا تقريرًا عن تطبيق هذه الطريقة فى متابعة أحد مشاريع فول الصويا. (المصدر: رسالة خاصة للمؤلف، يوليو 1992).

وقد جاء فى التقرير:

«لقد قمت بتدريب فريق فى مشروع الصويا على الـ PRA لمتابعة وتقويم آثار المشروع فى خمس ولايات فى الاتحاد الفيدرالى وهى: كادونا، النيجر، إنوغو أنامبرا وأويو. وقد دهش الفريق من سهولة الحصول على معلومات دقيقة، بطريقة رسم الخرائط بالمشاركة بالإضافة إلى طرق الـ PRA الأخرى المعروفة لديهم مسبقًا، فقد تمكنا عن طريق الخرائط من الحصول على كل المعلومات الهامة عن المجتمع، والسكان التى كنا نحتاج إليها، مثل: عدد الأسر فى القرية، عدد الأسر المشتركة فى إنتاج فول الصويا، قضايا النوع فى إنتاج فول الصويا، الاستفادة من فول الصويا، والتدرج حسب الأفضلية فى أغذية فول الصويا المختلفة، وقد تمكنا من جمع ذخيرة هائلة من المعلومات

خلال زيادة للقرية استغرقت ساعة ونصف، وظل الباحثون يطالبوننى بتدريب إضافى فى الـ «PRA».

وفى مثل تلك الأحوال، التى يستخدم فيها الـ PRA بالأسلوب الصحيح، نجد أن طرق الـ PRA لا تقتصر فائدتها على كفاءة تجعلها أفضل من الاستبيانات الاستطلاعية فقط، بل نجد أنها مرغوبة وجاذبة من قبل الباحثين وأهل الريف على حد سواء.

إن استخدام طرق الـ PRA فى المتابعة والتقييم، وفى البحوث يثير قضايا المقارنة والسببية. إن المقارنة بين المعلومات المشتركة فى سياقات مختلفة، قد تصبح مشكلة كبيرة في حقبة التسعينات، إذ قد تنشأ عن اللامركزية فى الحكم، وإشاعة الديمقراطية معلومات متباينة، يصعب على المخططين المركزيين تصنيفها أو مقارنتها بسهولة، وهناك حاجة إلى معرفة المزيد عن مقدرة طرق الـ PRA فى تجميع معلومات قابلة للقياس والمقارنة (مثل معلومات السكان، والصحة والزراعة) من أماكن مختلفة، وإلى المدى الذى يستطيع فيه المخططون المركزيون والموظفون التعامل مع التباين فى أشكال المعلومات المحلية المشتركة والخطط الصادرة من السكان المحليين.

أما بالنسبة لكيفية التعرف على «السببية» (أى العلاقة بين الأسباب ونتائجها) فإن الـ PRA يتفوق على الاستبيانات الاستطلاعية، والمعالجات الإحصائية (مثل معامل الارتباط وغيرها) إن الناس الذين يقيمون فى منطقة معينة يتفوقون على غيرهم فى التعرف على ما يحدث فى منطقتهم وتعليله، و الـ PRA هو أنجح الوسائل المناسبة التى تعينهم على إجراء تحليلاتهم بأنفسهم.

هناك حاجة الآن لزيادة الاختبارات، والتجارب، والإبداعات وتقويتها مثل تلك التى حدثت فى الهند، ونيبال، ونيجيريا، لكى تتم معرفة مدى نجاح طرق المشاركة السريعة التى تجرى بروية وهدوء، ويتم عبرها استبدال طرق الاستبيانات الاستطلاعية ومن ثم التفوق عليها.

12-7 نشر الـ PRA بواسطة أهل الريف

لقد اتضح من تجارب الـ PRA (انظر 6 - 12 أعلاه) أن أهل الريف قادرون على إنجاز أعمال كان الغرباء يظنون أنهم عاجزون عن القيام بها، فقد تحطمت نظريات الغرباء واحدة تلو الأخرى، عندما أثبت أهل الريف أنهم قادرون على رسم الخرائط وإنشاء النماذج وترتيب المعلومات، ورصد الأرقام، والتقدير، ووضع الرسومات التخطيطية، وتحليل المعلومات، وذلك بطريقة أفضل مما كان يتوقع منهم واتضح أنهم في كثير من الحالات، يستطيعون أداء هذه الأعمال بمستوى أفضل من الأجانب وأصبحت القاعدة السائدة الآن: أن يفترض أن الأهالى قادرون على القيام بأى عمل إلا إذا أثبتت التجربة غير ذلك.

ويصبح أحد الأهداف الآن أن يطور الـ PRA والطرق والوسائل المشابهة له وينشر عن طريق سكان الريف أنفسهم. وفى العقود الأخيرة ساد الاعتقاد بأن الإرشاد الزراعى هو نشاط تقوم به الحكومات، أو الجمعيات التطوعية وعادة ما يتم بتكلفة عالية ومتكررة، والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن هو: هل تسلم مقاليد الأمور للمزارعين والقرويين أنفسهم؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب فكيف يتم ذلك؟ وهل يمكن أن يكون النشاط مستديمًا عن طريق مطالب الأهالى للخدمات المتوفرة؟

إن للمعرفة الزراعية لدى المزارعين تاريخ طويل، لعله بدأ مع بداية الزراعة نفسها وقد يكون تدريب المزارعين المتعمد فى مجال الإرشاد الزراعى أمرًا حديثًا، ولنذكر مثالاً واحدًا لذلك: ففى الثمانينيات قام العالم «جيران» فى أمريكا الوسطى بتدريب مرشدين زراعيين متطوعين، وسلمهم تدريجيًا مسئوليات التجارب والإرشاد (بانش 1985) وفى الهند دعت كل من «ميرادا وسبيتش» القرويين الذين تدربوا على الـ PRA ليشتركوا كوسطاء تدريب فى القرى الأخرى.

أما برنامج أغاخان للدعم الريفى فى الهند، فقد طور هذا النشاط إلى مستوى أعلى، ففى أواخر الثمانينات، درب البرنامج القرويين ليكونوا وسطاء فى قراهم والقرى الأخرى، ولم يكن عمل المتطوعين قاصرًا على الإرشاد الزراعى، بل تعداه إلى العمل كوسطاء فى طرق ووسائل الـ PRA (شاه 1989؛ شاه، برادواواج وامباسا 1991)، وكان المتطوعون يقدمون خدمات مقابل مبالغ يدفعها القرويون، ليس فقط فى قراهم فى القرى الأخرى، وكانت المجموعات تقوم بأنشطة فى عدد من القرى. تتضمن رسم الخرائط والرسومات القطاعية، والمقابلات، والنقاش فى مجموعات، ووضع الأولويات، وتحضير الخطط لإدارة الموارد الطبيعية فى القرية، وقد لوحظ أنهم يستمتعون بهذا العمل (شاه وآخرون 1991: 87-88) وفى فبراير 1992 عرضت فرقة من المتطوعين القرويين مهارتها، لمجموعة من الزوار العالميين فى قرية كابرياتار، فى مركز باروخ فى غوجارات). وفى يوم واحد استطاع متطوعو القرى تمكين القرويين من رسم خارطة لغاباتهم المتدهورة، وحساب وقياس رصيد الجذور فى خمس مربعات على الأرض وتقدير عدد الشتول اللازمة للمشاتل، وتحليل الاحتياجات واختبار الأنواع وذلك

عن طريق الرصد فى جداول (م. شاه، سيأتى ذكره)، وقد كتب تقرير فى يوليو عام 1992 أن المتطوعين الذين كانوا يقومون بالـ PRA قد ذكروا لبرنامج أغاخان للدعم الريفى أنهم يرون «أنهم ليسوا فى حاجة إلى تدريب بعد ذلك».

ويبرز الآن سؤال عما إذا كان نشر الـ PRA عن طريق القرويين سيكون قابلاً للاستدامة والتطوير الذاتى؟ إن الحوافز التى طورها برنامج أغاخان والقرويون تعتمد على الدفع حسب الناتج. بحيث يدعم الإنجاز الجيد، وتوجد مطالب فى القرى الأخرى لخدمات متطوعى القرى. ويبقى بعد ذلك أن نعرف ما إذا كان متطوعو القرى قادرين بمفردهم ومستعدين بناءً على رغباتهم أن يدربوا متطوع القرى الأخرى، ليصبح هؤلاء بدورهم مطلوبين لتقديم خدماتهم، وإذا حدث ذلك، وبتقديم الحوافز للعمل المتميز فإن ما بدأ كبرنامج وارد من الخارج سيصبح قادرًا على الانتشار ذاتيًا، وإذا لم يحدث ذلك، فإن المنظمات مثل برنامج أغاخان، قد تجد نفسها لا تزال راغبة فى رعاية نشر الـ PRA بمساعدات بسيطة، وبتدريب المتطوعين، وتشجيعهم لتكوين فرق يمكن أن توفر خدماتها بمقابل مادى.

12-8 الـ PRA فى المؤسسات

لعل التحدى الأكبر هو تأصيل الـ PRA كأسلوب عمل، بل كثقافة، فى المنظمات.

إن الاتجاهات البيروقراطية التى ترمى إلى توحيد المعايير، والمركزية، وفرض الأوامر من أعلى، تحد على أحسن الفروض. من انفتاح الـ PRA، ومرونته، وقدرته الإبداعية وتنوعه، أو تقتضى نهائيًا

على هذه المزايا على أسوأ الفروض، ويقتضى تأصيل الـ PRA فى أى منظمة تغير نهجها وثقافتها تغييرا جذريًا.

وهناك ثلاثة أنواع من المؤسسات ذات صلة بالـ PRA، وهى: المنظمات غير الحكومية، المنظمات الحكومية الميدانية، والجامعات، ومعاهد التدريب، وتشترك المنظمات التى احتضنت الـ PRA وطورته فى ثلاثة خصائص هى:

1. ثبات القيادة والتزامها بالـ PRA.
2. وجوب نسبة كبيرة من العاملين الذين يرغبون فى استخدام طرق الـ PRA.
3. تكرار التدريب والدعم.

إن التزام رئيس مجلس إدارة مؤسسة أو مديرها لا يكفى، ولا يكفى أيضًا تكرار التدريب وحده، ثم إنه ليس من المفيد تدريب المستويات الدنيا، دون التزام الجهات العليا، إن اهتمام المستويات الإدارية الوسطى فى أى منظمة، ورغبتها الفعلية فى استخدام الـ PRA، أو دعمه عمليا، وليس بالحماس فقط، يحدد مصير الـ PRA فى المنظمة، وإذا لم يحدث، فإن هناك أسباب أخرى يؤدى فيها عدم اهتمام هذه الفئة إلى إضعاف مبادرات الـ PRA والقضاء عليها نهائيًا.

ليس من المستغرب أن نجد الكثير من الإبداعات الأولى ونشر طرق الـ PRA كان من بين هموم المنظمات غير الحكومية، حيث أن ثقافات تلك المنظمات تتضمن قيم ومثل الـ PRA، وقد قامت بعض هذه المنظمات، مثل IIED فى المملكة المتحدة، و MYRADA و AKRSP فى الهند، بتدريب بعض الهيئات الحكومية الميدانية، وحددت

أو بدأت فى تحديد أدوارها على أساس تضمين التدريب فى الـ PRA للآخرين ولكن احتضان الـ PRA واستخدامه بواسطة الهيئات الحكومية التى تعمل فى الميدان، لا يخلو من المشاكل (انظر الفصل 7-12، أعلاه)، إن التعلم من التجارب التى اكتسبت سابقًا من الاستراتيجيه والتكتيكات سيعطى الأولوية فى الدراسة التى ستنتشر فى عدد قادم فى نشرة «مذكرات RRA».

وفى المدى البعيد، تشكل الجامعات ومعاهد التدريب أهمية استراتيجية بالغة، وفى الوقت الحاضر فإن الكثير من هذه الجامعات والمعاهد تصل بالدارسين إلى نتائج عكسية، حيث تخرجهم بنهج وسلوك ينطوى على التعالى، وتعلمهم طرق تدريس لابد من الانصراف عنها ونسيانها، وهكذا يصبح إعادة تأهيل هؤلاء الدارسين أمرًا شاقًا ومكلفًا، وفى الغالب لا يؤدى إلى النتيجة المطلوبة.

أما على النطاق العالمى، فإن الـ RRA والـ PRA، لم يؤثرا إلا قليلاً على الجامعات، ومعاهد التدريب حتى الآن إن مستوى احتضان الـ RRA والـ PRA، لا زال ضعيفًا جدًا بالنسبة لاتساع مجالهما، ولا تزال قابلية تطبيقهما فى التدريب والتربية واسعةً، ولكنها ربما لم تكن معروفة على الإطلاق، ولن يكون قبول هذين الأسلوبين واردًا، ولن ينتشر استخدامهما إلا عندما تُدخل الجامعات والمعاهد العليا الـ RRA والـ PRA فى مناهجها المقررة، وطرق تدريسها، وأعمالها الميدانية، ويتشرب جيل جديد من المهنيين بأصولهما وطرقهما، ويتغير نهجه وسلوكه تبعًا لذلك.

ولكن هناك أربع حالات شذت عن هذا القصور فى الجامعات:

أولاً: فى جنوب شرق آسيا ظهرت عدة جامعات فى تايلند (وأهمها جامعة خون كين) وفى الفلبين (بما فى ذلك جامعة الفلبين، لوس بانوس) ظلت تستخدم الـ PRA لسنين طويلة، ولابد الآن من الإسراع بدراسة لمعرفة لماذا؟ وكيف احتضنت هذه الجامعات الأسلوب الجديد، وتجاربهم فى إعطائه الشرعية، وفى تدريسه وتطويره إلى الأفضل.

ثانيًا: الجامعات فى أفريقيا شبه الصحراوية، التى بها أساتذة يمارسون الـ PRA تشمل جامعة ايقرتون فى كينيا (وهى ذات صلة بجامعة كلارك، فى الولايات المتحدة) وجامعة أوبافيمى أولوو فى نيجيريا، وجامعة زيمبابوى فى هرارى.

ثالثًا: فى أوائل التسعينيات ابتدأت بعض مؤسسات التدريب فى الهند، وفى نيبال اعتماد منهج الـ PRA والعمل على تطويره. ومن ضمن هذه المؤسسات الأكاديمية القومية للإدارة فى مونتورى والمعهد الهندى لإدارة الغابات فى بهوبال ومعهد اكزافيز للخدمات الاجتماعية فى رانشى ومعهد إدارة الغابات فى بكهارا فى نيبال.

فى جميع تلك المؤسسات يقوم الطلبة باستخدام منهج الـ PRA عوضًا عن بيانات المسح العام فى عملهم الميدانى بالقرى. كما أن عددًا من الجامعات الزراعية من بينهما جامعة نارندراديف للزراعة والتكنولوجيا فى فيزاباد، وجامعات أخرى فى شرق الهند، وجامعة تاميل نادوا الزراعية وجامعة هيبال الزراعية فى بنقالو، قد استقدموا المحاضرين، وأقاموا ورش العمل والتدريب على منهج الـ PRA والنظم اللصيقة به.

رابعًا: قام الأساتذة فى عدة جامعات باستراليا بممارسة الـ PRA

والـ RRA وقد نتج تاريخيًا عن ذلك تحول نوعى من التعليم الزراعى إلى «نظام التفكير» والتعلم الذاتى فى كلية هوكسبرى الزراعية (جامعة غرب سيدنى الآن) فى أوائل الثمانينات (بادون وآخرون 1984؛ دان 1991)، وتشمل الجامعات والمدارس التى مارس فيها بعض الأساتذة الـ RRA والـ PRA شعبة الزراعة والتنمية الريفية، جامعة غرب سيدنى، فى هوكسيرى؛ ومدرسة علوم المحاصيل فى جامعة سيدنى (آمبت وايسون 1989)؛ ومدرسة الزراعة فى جامعة شارلى ستارت فى ريفرينا (دان وماكملان 1989) ومدرسة القانون، جامعة ماكريرى (فويس وآخرون 1989).. وفى إحدى بحوث الـ PRA فى استراليا، اتضح أن الصراع داخل الأجيال وفيما بينها، والتنازل عن حقوق ملكيات مزارع الأسر، هى أمور لا تهم الكثيرين من المزارعين (آمبت 1998، آمبت وآيسون 1988، آيسون 1990) . ثم استخدام الـ PRA لدراسة موضوع التنازل عن ملكية مزارع الأسر (فويس وآخرون 1998)، واستخدام الـ PRA أيضًا للتعرف على مشاكل البحوث فى المراعى (آمبت وآيسون 1989)، وفى سبتمبر 1991، تجمع مشاركون من عدة مؤسسات فى فريق واحد، ليعملوا كوسطاء تدريب فى PRA أقيم فى وادي كيمبى، مما مكن أصحاب الأراضى وأسرهم من تحديد، وتحليل القضايا التى تهمهم، ومن التخطيط للعمل، (فريق الـ PRA 1991).

ليس من السهل التنبؤ بطرق نشر (الـ PRA). ولكن هذا النموذج الاسترالى قد يكون مؤشرًا مفيدًا فى هذا الأمر، وفى مثل هذا الشكل من المشاركة الكبرى، فإن الإبداع التقليدى يسير فى اتجاه عكسى، وتحتضن الدول الغنية طرقًا تتناسب واحتياجاتها كما تحتضن

وسائل نشأت، وتطورت فى الدول النامية، وتقوم بتطويعها لتتناسب معها.

13ـ أهمية التحول النوعى فى الـ PRA

إن إحدى الإسهامات التى يجب أن تطلب من الجامعات، هى توضيح النظريات التى تبنى عليها المفاهيم. ففى استراليا تم ربط الـ PRA بنظرية البرمجيات (تشيكلاند 1981) والعلوم القرينية (رسيل وايسون 1991) وبدأ الباحثون الاستراليون، عن طريق هذا الربط، بالتعمق فى دراسة أهمية التحول النوعى فى الـ RRA و الـ PRA.

وقد أوضح نيل جيمبسون (جيمبسون 1987) فى محاضرته بعنوان «أهمية التحول النوعى فى الـ RRA. والتى ألقاها فى المؤتمر العالى لـ RRA فى جامعة «خون كان» 1985، وضح أن الـ RRA، بما يتصف به من سرعة فى التعلم، يتناسب مع ويدعم نموذجًا جديدًا وناشئًا للتنمية. وعلى الرغم من الخلافات الأيديولوچية، فإن الماركسيين والاشتراكيين، وأصحاب رؤوس الأموال. اشتركوا جميعًا فى اتخاذ نفس الافتراضات الخاصة بالفلسفة التطورية، والوراثية، والشمولية والوضعية، والنفعية، كما أنهم جميعًا يتحمسون للتقدم. وذكر المحاضر أن هناك رأى آخر عن التنمية، وهو وصف التطور البشرى بأنه حل المشاكل الناتجه عن ضغوط الحاجة أو أنه تغير من أجل التلاؤم، وتتفق هذه النظرة مع طريق: علم التوجيه، التى تشمل مفاهيم التغذية الراجعة، والزمن الحرج (وهو المدة بين استلام الرسالة وبين الوقت الذى تصبح الاستفادة فيه من الرسالة غير ممكنة)، وزمن التخلف (وهو المدة بين استلام الرسالة واكتمال العمل المبنى عليها) (انظر أيضًا جوزيف 1991).

وقال جيمبسون أن التغيرات ازدادت سرعتها، وازداد مقدارها بطريقة لم يكن من الممكن التنبؤ بها، مما يؤكد الأهمية القصوى للتغذية الراجعة السريعة، والدقيقة لحدوث التلاؤم الضروري مع المتغيرات.

ولا زال الكثير مما كتبه جيمبسون قابل للتطبيق، بل بدرجة أعلى من عام 1985 حين كتب ورقته. أما على المستوى النظرى، فقد وضحت نظرية الفوضى بجلاء، وكيف أن أنماط ومسارات التغيير تتأثر وفقًا للفروقات البسيطة التى تحدث فى البداية: (كليك 1987).

أما على المستوى التجريبى، فيبدو أن التغيرات فى الأحوال المحلية، والعالمية ـ سواء كانت بيئية، أو اجتماعية، أو سياسية آخذة فى التسارع. وفى هذه الأحوال التى تحدث فيها التغييرات بسرعة شديدة، وبطريقة مفاجئة، فإن الحصول السريع على ما ترتب من تطبيقات، والتعلم السريع، وطرق التلاؤم السريعة، تصبح ذات أهمية قصوى وبدرجة أكثر مما كان مطلوبًا فى الماضى.

ولعل من المهم أيضًا ظهور تحولات نوعية فى الوقت الراهن فى ثلاثة مجالات هى: فى العلوم، إدارة الأعمال، والتنمية نفسها.

فالعلوم ذات المنطلقات التقليدية، واستخدامها للافتراضات والطرق المنطقية تجد نفسها فى حالة أزمة عندما تواجهها الكثير من المشاكل المعقدة (ميرنز 1991 إبليارد 1992). فهى ليست لديها الكفاءة، وبالنسبة للنظم المفتوحة المعقدة والقدرة التنبؤية والتى تهم فى المقام الأول، كما أن القضايا البيئية العالمية تنطوى على عوامل مبهمة ومعلومات غير مؤكدة، وتتطلب حسب ما أسماه فانتويز ورافيتز

(1990) بـ «علوم المرتبة الثانية»، حيث يلعب الاجتهاد العقلى فيها دورًا أكبر. وكذلك يصعب تقديم وصفات للأنظمة المحلية الزراعية، والاقتصادية، والاجتماعية، أو التنبؤ بها. وليس هذا بالاكتشاف الجديد.. فقد كتب جيرمى سويف عام 1981 يقول:

«أقيم أحد مشاريع البنك الدولى الكبرى فى مالى لتربية الحيوان، بعد دراسة كيفية استدامة المرعى والتى استندت على تقديرات هامة وردت فى تقرير كتبه أحد البيئيين المتخصصين تخصصًا عاليًا عام 1972. وقد أعاد التقديرات بيئى آخر عام 78 / 1977 لا يقل كفاءة عن الأول، وجد أن حمولة المرعى تعادل نصف ما ورد فى التقرير الأول. ولا يجوز أن يؤاخذ أى منهم. فالعلم وقتها لم يكن دقيقًا بالقدر المطلوب». ولكن الآثار قد تكون مدمرة للمشروع، وللرعاة بدرجة أكبر».

(Switt 1981 : 487)

بالطبع ليس من الجائز أن يلام أحد فى ذلك الحين. لكن الآن نحن نعلم أكثر عن أشياء لم تكن معروفة، مستخدمين أساليب متعارفة من «النظم» ومتى ما كان الذى لا نعرفه ضخمًا ولا يمكن التكهن به يجب أن نفكر فى الحلول عبر منهج جامع.. (Methodlogical Pluralism).

وقد حدث تحول نوعى فى سوق إدارة الأعمال، إذ تبدلت قيم، وانقلبت استراتيجيات الإنتاج الكمى بالتخصص المرن، (انظر كايلنسكى). المعايير الثابتة بالتنوع والاستجابة والإشراف الهرمى بالثقة، والصرامة فى ضبط الجودة بالتأكد من كفاءة العاملين بالمنشأة، كما يحتوى كتاب (بيترز) على نصائح جمة لمدراء الأعمال إن كانوا يريدون إحداث تغيير جذرى فى مجال الإدارة (Thriving on choas).

وذلك ما ينطبق تمامًا على منهج التقييم السريع بالمشاركة PRA وكبرهان على صحة ما ذكر من أن المرونة فى الإدارة والاستماع إلى العاملين ينمى فيهم القدرة على التأمل والإبداع، وهذا بالضبط ما أكدته تجربة المدير البرازيلى الناجحة جدًا بعد أن قام بإلغاء كل القوانين والقواعد واللوائح ونظم العمل بالإدارة وجعل كل موظفى الشركة فى أوضاع لا مناص معها من اجتهادهم ذهنيًا (سيملر 1989:79).

فالتقنية ونظام السوق الجديدة قد شكلا وأديًا إلى مرونة، ولا مركزية، وتنوع، ومن ثم إمكانية إيجاد العديد من الأسواق الملائمة والمتغيرة لاستغلالها. أما فى مجال الـ PRA فإن القواعد التى تحكم أدواته وأساليبه تتلاءم والسكان المحليين، وفى كلا الحالتين فإن الأساس هو قاعدية المشاركة فى المعرفة، من أجل تمكين المستضعفين وتفعيل التنوع، بغية التوصل إلى تغير سريع منشود.

إذن وبعد كل ما تقدم، يمكن القول أن فلسفة التقييم السريع بالمشاركة، هى الأسلوب الوحيد الفعال بين أساليب عديدة فى عالمنا المعاصر.

لم تعد نظريات النمو الاقتصادى الشاملة فى التنمية هى العامل الأساسى لتحقيق الحياة الأفضل (انظر إيكتس 1992، ساشس، وياسم 1992)، كما لم يعد خفيًا أيضًا أن الموارد الطبيعية محدودة للغاية، وأن نظريات النمو الاقتصادى بشكلها السابق وأهدافها التى اقتصرت على استغلال تلك الموارد دون إدراك لمحدوديتها قد أدى إلى تدهور مريع فى البيئة.

فالقضية إذن هى السعى نحو تعزيز الحياة وتحسين نوعيتها، عبر وسائل أكثر تحقيقًا للتنمية المستدامة.

ولعله من المهم أن نقول إن رغبات ذوى القدرة والأغنياء تكمن فى أن يظلوا أفضل حالاً، ولا بأس من بعض صدقات للفقراء، وإذا ما كنا لسان حالهم فإننا نحرص ونسأل «كيف نكون أفضل ونحصل على الحد الأقصى من نصيب الفقراء؟ دون أن نقع فى أخطاء الأغنياء السابقة.

إن الأهداف التى ذكرناها سابقًا ـ يمكن تحقيقها إذا ما تم تفعيل قدرات أهل الريف ـ وتأهيلهم عبر ما سميناه «التمكين» ليستطيعوا تحديد أولوياتهم، وتحقيق القدر الكبير من أمانيهم وأحلامهم.

وبناء على ذلك فإن تحقيق المستوى النموذجى للعيش الإنسانى فى عالمنا، يتطلب أول ما يتطلب مناخًا من الديمقراطية واللامركزية، وتبجيل روح النقد والاختلاف ـ وإتاحة الفرصة لطاقات الغير ومعارفهم المحلية، ومن هنا فلا سبيل لتحقيق كل الإيجابى الذى ذكرناه فى وجود المركزية والدكتاتورية ـ فهى عائق وسد منيع لتحقيق الأهداف المرجوة.

إن التفكير الضيق ـ والحلول الجاهزة. والانغلاق والجمود، وكل ذلك وما شابهه، يفتح طريقًا واسعًا للعقائدية الفجة المفرطة ويتيح فرصًا لنظام التفكير الشمولى بسلبياته وأضراره.

وبناء على ما سبق، يمكننا أن نخلص إلى أن الـ RRA والـ PRA يمثلان جزءًا من النموذج العام للتحول الجارى، الذى يعضد التعدد المنهجى، والتغيير السريع الملائم لإحداث التنمية المتوازنة، ويخلق أثرًا

حقيقيًا فى حياة أهل الريف وذلك بتمكينهم، وتحفيزهم ودفعهم للتعبير عن خياراتهم، وتحليلها، كما يسعى لتوسيع تلك الخيارات ومساواة الفرص، وقبول التنوع المحلى، وحرية المعتقدات، تحقيقًا للديمقراطية بأشكالها المختلفة.

إن طريق مستقبل الـ PRA، مثله مثل طرق مستقبل التنمية المستدامة فهو واعد، ومحفوف فى نفس الوقت بالمشقة والمخاطر، فهل تتشبث بالأمل؟ وهل ذلك الأمل ممكن التحقق فى القريب العاجل. ذلك ما ستجيب عليه أطوار التجربة، ونتائج التطبيق، تكمن بواسطة المنظمات والمؤسسات التدريبية، والمعاهد والجامعات. وأيضًا من خلال اختبار إن كان هذا المنهج مفتوحًا أم منغلقًا جامدًا، أم متطورًا، محافظًا، أم تقدميًا، يقبل التعددية وجرىء الأسلوب، أم غير مبادر ومتمسك بالقديم، ولنا فى التجارب الفردية أيضًا ما يعيننا على الإجابات.

تذييل

قبل ثمانية أعوام ونصف، كنت قد شاركت فى دورة تدريبية نظمتها مؤسسة الشرق الأدنى (NEF) ونفذها مركز خدمات التنمية المصرى (CDS) بمدينة الخرطوم، وتعد تلك الدورة بمثابة الباب الأول الذى دخلت عبره مع ثمانية مشاركين آخرين عن جمعية حماية البيئة السودانية عالم سماه مكتشفوه "البحث الريفى بالمشاركة" الـ (PRA).

أول ما لفت نظرى أن هذا المنهج بتركيبته غير المعقدة، وسماته شديدة الترحاب بملكات المستضعفين، ومواهبهم المدفونة، يكاد يقفز شهمًا، جم الإيثار ليصبح ضالة حكماء التنمية المنشودة.

إنه يمد يده بيضاء لأصحاب الضمير المنحازين لأهل الريف فى أنحاء المعمورة المتأوهة من شح الزاد، وانغلاق الأفق، وتربع الفقر سيدا لحياتها فى كل مناحيها.

كانت البداية عام ١٩٩٢ فى مدينة الخرطوم، وأنا أتلفت لأجد طريقًا أختبر به حجم الفائدة التى خرجت بها من دورة التدريب الأولى تلك، فإذا بنفر من الأكاديميين وبعض مدراء لمنظمات غير حكومية يسعون فى طلبى لأقوم بتقديم محاضرة تعريفية عن منهج الـ PRA، والذى كان قد ذاع صيته ولاقت تجاربه نجاحًا مشهودًا فى مناطق عديدة ـ كجنوب شرق آسيا وجنوب ووسط أفريقيا وأمريكا اللاتينية. بعد هذه المحاضرة التعريفية بدأت تجربتى العملية بتنظيم دورة تدريبية للباحثين بمنظمة «أمل» للأطفال المشردين وهى منظمة أهلية طوعية تعنى بالأطفال المشردين بالسودان. أعقبتها دورات أخرى

شملت كل العاملين بالمنظمة - ومنهم أحد المعلمين المتقاعدين ويعمل باحثًا متطوعًا بالمنظمة الذى علق قائلاً - كنت مستفزًا فى البداية بحكم خبرتى الطويلة فى مجال التعليم، وبدا لى وضعى محرجًا ومربكًا وأنا فى وضع المتدرب - أى (التلميذ) - غير أنى وبعد أن زال هذا الحاجز النفسى سرعان ما اكتشفت قدرة هذا المنهج الساحر على التحفيز وشحذ الهمة، إنه منهج يدفعك دفعًا لأن تبادر وتكون خلاقًا ومعبرًا عن نفسك بأشكال شتى، إن مرونته لا تحد - وهو بيسر شديد يقوم بتحويل عملية التعلم من عملية مجهدة للذهن، باعثة للملل، إلى شىء آخر تمامًا، هو المتعة بعينها، وهنا تكمن قوة الـ PRA.

بعد هذه البداية الملهمة، تركنا المكاتب وراءنا، وحملنا أسلحة كشفنا الجديد لنصل أولئك المعنيين بهذا المنهج - أهل الريف فى قطرنا السودان - عبر دورة تدريبية نظمتها الأمم المتحدة من خلال برنامجها الإنمائى "UNDP" فى شهر ديسمبر عام ١٩٩٣ - فى قرية الدبورة - ريفى نهر عطبرة وهى المنطقة المتأثرة بانحسار المياه عنها بسبب انعدام الدراسات البيئية قبيل قيام خزان خشم القربة الذى أنشئ لخدمة المهجَّرين من مدينة (حلفا) السودانية، بعد أن أغرقتها مياه السد العالى، الذى بنته مصر فى منتصف الستينات.

لقد كانت تلك التجربة الميدانية الأولى التى رأيت فيها بأم عينى كيف اقترن أولئك الناس فى ذلك الريف البعيد بذلك المنهج. كيف منحوه ثقتهم، وبادلوه العناق إلى درجة أن كتبوا التقرير النهائى للبرنامج بأنفسهم، الأمر الذى أدهش زميلى فى التدريب روبرت لورس المحاضر

بجامعة بيرنمجهام بإنجلترا - والذى علق قائلاً - هذه أول مرة أشهد فيها أهل القرية يكتبون تقرير أحوالهم بأنفسهم.

لقد دفع سحر هذا المنهج أهل تلك القرية ذاتها إلى أبعد من ذلك، إذ أنهم قاموا وبالثقة كلها برفع راية الاحتجاج ضد ما جاء من بنود مسودة مشروعات تم إعداد دراساتها بواسطة خبراء من هيئة الأمم المتحدة - وذلك لخلل لاحظوه فى عملية ترتيب الأولويات. وهم بلا شك خير من يرتب تلك الأولويات، وكان أن وضعت المنظمة فى اختبار عظيم، مما جعلها تستعين بمنظماتها الأخرى مثل منظمة العمل الدولية، ومنظمة اليونسيف، وذلك لخدمة خيارات أهل القرية الثلاثة الممثلة فى - التعليم - وذلك بتوفير المدارس - ثم توفير المياه - وذلك بتجهيز المضخات اليدوية وتأهيلها، أما فى مجال الصحة فكان مشروع الدواء الدوَّار لتوفير الدواء، وتدريب الكوادر الصحية والقابلات، وكانت تلك بحق أهم الأولويات التى تحتاجها تلك المناطق المحرومة، حدث ذلك بفضل القدرات الكامنة - فى أهل المنطقة ذاتهم، وكان تمكينهم وتحفيزهم ليقوموا بالمبادرة عن منهج الـ PRA العامل الحاسم فى حدوث ذلك الإعجاز، بل هو السبب الرئيسى الذى جعل أكبر المنظمات الدولية - وأكثرها بيروقراطية تعدل فى خططها وتستجيب لآراء أهل المنطقة وهم الأحق من الكل بتحديد احتياجاتهم وترتيب أولوياتهم.

مثال آخر لتجربة ميدانية فى ريفى محافظة كردفان بغرب السودان - كان فيها منهج الـ PRA أداة لتقييم أثر مشروع تنمية المناطق المختارة بتلك المنطقة - وكان المشروع قد أكمل عامه الثالث - حضر

التدريب ٣٦ مشاركًا تم اختيارهم من جملة المشاريع الخمسة المختارة. وكان رد مدير المشروع بعد أن تسلم تقارير المجموعات التسعة المشاركة فى التدريب على منهج الـ PRA أن النتائج التى تم التوصل إليها هى المطلوبة بعينها. وأنهم انتظروا طويلاً لكى يصلوا إلى الذى وصلنا إليه.

عقب تلك التجربة الناجحة لمنهجنا استأذننى مدير المشروع فى أن يتم إلحاق سلة من الباحثين معظمهم تخصص فى علم البيطرة، كانوا قد فرغوا لتوهم وبمساعدة أحد المتخصصين فى علم الاجتماع. من إعداد وثيقة لمقترح توسيع أنشطة المشروع ليشمل شريحة «الرعاة» فى المنطقة وهى شريحة كبيرة، واستهويت الفكرة، واعتبرتها سانحة جديدة، وقد تكون الأولى من نوعها فى السودان لتطبيقات منهج الـ PRA. سيما وقد عملت سنينًا عديدة بقطاع المراعى والعلف التابع لوزارة الزراعة السودانية فى ذلك الوقت.

لقد ذهبت تلك المجموعة من الباحثين إلى أولئك الرعاة فى مناطقهم. وقضت معهم ٥ أيام، مستخدمة أدوات منهج الـ PRA المختلفة. ثم عادت بتقارير فى غاية الجدية، وتم تضمين المشكلات والاحتياجات بدقة وحنكة، مما أسقط كل ما جاء فى وثيقتهم السابقة، والتى كانوا قد جلسوا خمسة عشر يومًا لإعدادها بمساعدة أخصائى علم الاجتماع، وكان أن عقدت ورشة عمل استغرقت ثلاثة أيام لمناقشة قضايا الرعاة. قامت بتنظيمها هيئة الأمم المتحدة لبرامج التنمية بالتعاون مع جامعة كردفان ومجلس أبحاث كرفان. تم فيها عرض نتائج تطبيقات الـ PRA التى شارك فيها الرعاة بأنفسهم وتبنوا مشكلاتهم

وإمكانات حلها، مقارنة بنتائج مقترح المشروع الذى غاب عنه أهله الحقيقيون من الرعاة.

وفى أقصى شمال السودان حيث توجد قرية كوش بمحافظة وادى حلفا - وهى قرية نزح معظم شبابها إلى العاصمة الخرطوم، وبقى قليلون منهم للعمل بالزراعة، وبعض منهم يعمل بحقل التعليم البتدائى - لم يكونوا كمشاركين فى التدريب من طلاب الدراسات العليا كما جرت العادة، أو من أولئك العاملين فى المنظمات، لقد جلسوا جنبًا إلى جنب - طبيب القرية وطالبة الجامعة والقابلة والمساعد الطبى والمعلم - وربات الأسر - والمزارعين جمعتهم معرفة حقيقية بمنطقتهم - مشاكلها - ومقترحات حلولها - وعبر الجلوس الجاد حول هذا المنهج عالى الشفافية - حميم الأدوات - تمكن ذلك الجمع من الوصول إلى أقرب الطرق المؤدية إلى غد أفضل وتحقيق ما استعصى من الأمانى عبر الوسائل التقليدية القديمة لقد حشد فيهم ذلك المنهج ثقتهم بأنفسهم - ومكنهم من اكتشاف قدراتهم.

قال لى طبيب القرية المشارك فى التدريب كنت قبل أن يشملنى هذا المنهج بنوره، قد فقدت الأمل - وظننت أنى قد فشلت ولا فائدة - فقومى كسالى وغير مبالين - فقد بح صوتى داعيًا أهل قريتى إلى بناء مشاريع بعينها، منها مشروع بناء مراحيض صحية - وتأكدت أن أسلوبى فى دعوتهم كان هو سبب الفشل - فقد رأيت عبر الـ PRA أهلى وهم يشتعلون حماسًا - وينشطون فى سبيل تطوير مناطقهم - ويقدمون من المقترحات والآراء ما يجعلنى أقف إجلالاً واحترامًا لهذا المنهج والذى بلا شك سيحدث تغييرًا جذريًا فى مستقبل حياتى.

لقد لاحظت شابات خجولات انكفأن على أنفسهن ـ وظهرن بنصف قناع على وجوههن ـ يجلسن فى نصف زاوية ـ تم تبدل ذلك تدريجيًا على تقدم أيام التدريب ـ فصارت وجوههن أقل خجلاً ـ وسرى الحماس فيهن فرفعن الأيدى، وتحركت فيهن الألسنة وكانت النتيجة أن عرض المجموعات الثلاث الأولى تم كله بواسطة النساء.

لقد تمكن طلاب تمهيدى الماجستير بقسم الجغرافيا بجامعة النيلين بالخرطوم فرع القاهرة سابقًا ـ من دراسة الآثار البيئية للمنشآت المقامة على ضفة النيل الأزرق. وتوصلوا عبر منهج الـ PRA إلى حجم التلوث الذى تحدثه تلك المنشآت. مما حدا بمؤسسة فريدريش أيبرت الألمانية لتبنى تلك الدراسات عبر ورش المنتدى البيئى بحضور مجموعة من أصحاب القرار ـ وأولئك المتخصصين من الناحية الفنية والعلمية.

لقد بلغ الحماس بأحد الطلاب مبلغًا جعله يقول «إن هذا التدريب يساوى بقيمته جملة الأربعة مستويات التى قضاها فى دراسته الجامعية وتساءل طلاب آخرون عن أسباب عدم اعتماد منهج الـ PRA كأحد المناهج البحثية الهامة التى يحتاجها الطلاب فى سعيهم للاقتراب من مشكلات بيئاتهم المحلية.

لقد تم تقديم ذلك المنهج لأول مرة كمنهج بحثى قائم بذاته فى الجامعات السودانية فى جامعة النيلين ـ لطلاب السنة الثالثة كلية الآداب قسم الجغرافيا.

بعد كل تلك التجارب الناجحة وغيرها فى مجال الـ PRA في ريف السودان البعيد/ أصبح الاستمرار فى الدعوة لنشر هذا المنهج وتأكيد

نعمه وسجاياه هاجسًا يتبعنى فى كل الحالات، حتى لو شاب ذلك ما ينبئ عن خطر ما - أو يدل على وعورة لا مناص من القفز فوق طبقاتها إيمانا يشبه إيمان أولئك الرواد الذين - جابوا أودية الموت - لينتصروا لمعارفهم النبيلة. وليبثوا علمهم النافع بقاعًا هى فى أمس الحاجة إليه.

لقد طاف هذا الرائد (روبرت شامبرز) صاحب هذا الكتاب الذى أقوم بترجمته مناطق فى عالمنا الزاخر بالظلم - فوصل إلى ما لا يمكن تصديقه فى عصر يراهن فيه بعض الحالمين على أفكار تراهن على مستقبل واحد للشعوب، ولنا أن نتأمل مثلاً حالة شعوب «الداليت» فى تاميل نادو فى الهند والتى قام شامبرز بالعمل فيها حاملاً راية منهجه المكافح - هؤلاء الناس الذين عاشت مناطقهم قرونا من الاضطهاد، ولا زالوا لا يظهرون على أى من السجلات الانتخابية أو بطاقات توزيع المؤن، ولا حتى فواتير المياه، فهم يعيشون بالقرب من مؤسسة الإسكان والتنمية الحضرية، فى أكواخ مصنوعة من الطين وقطع الكرتون والأكياس البلاستيكية، الأطفال يلعبون فى الوحل مع الخنازير، والأمهات يغسلن الثياب فى مياه المجارى، هؤلاء الناس الذين يعيشون بين القمامة، والمعروفون باسم «كاباريوالا» يقتاتون من النفايات، وينقلون الفضلات البشرية مقابل الحصول على حفنة من الروبيات، أطفالهم يتسولون عند إشارات المرور القريبة، ولا يذهب أى منهم للمدرسة - يقول أحدهم وقد ظل آكلاً للنفايات منذ ٤٠ عامًا «لدينا الحق فى العيش».

والسؤال الملح فى هذه الحالة - هل من عاقل يرى إمكانية إلحاق

مثل هؤلاء الناس بقطار العالم الجديد أو «العولمة» كما تسميها بعض نخب هذا العصر؟

لقد قمت بنفسى فى عام ١٩٩٨ بالدخول فى تجربة قاسية، إذ وافقت على مبادرة من IDS والمنظمة الدولية لإعادة التعمير والتنمية NRRDS ومقر عملها بنيروبى . والتى تقضى بالتوجه إلى المناطق التى تدور حولها حروب ملعونة . ويعيش فيها أناس تحت نيران القصف . ومع أهوال طبيعية لم أر فى حياتى مثيلاً لها . لقد كسرنا قاعدة أن هذه المناطق تحتاج فقط إلى أعمال الإغاثة وتوزيع الإعانات الطارئة، كنا أنا وزميلى ألستر من معهد الدراسات الإنمائية . بجامعة سيسكى ببراتيون، أعزلان إلا من سلاح نعرفه هو الـ PRA، هدفنا أن نشارك أولئك المحرومين من نعمة الأمان حياتهم، أن نساعدهم على رؤية شىء جديد، ربما مكنهم من اكتشاف فرص لحياة أقل شقاءً.

تحركنا من لندن إلى نيروبى . ومن نيروبى إلى الحدود الشمالية الغربية لكينيا . مسافة قطعتها الطائرة فى ٣ ساعات ونصف . منها ساعتان فى أجواء المناطق التى تسيطر عليها قوات الجيش الشعبى لتحرير السودان SPLA أما الساعة والنصف الأخرى . فهى فى سماء المنطقة التى تقع شمال قناة «جونقلى» وتمتد حدودها حتى سلسلة الجبال التى تقع قرية «لمون» على قمة أحد أعلى مرتفعاتها .

لقد فاق حجم البؤس هناك كل تصور . وكدت أنسى أنا وزميلى ألستر طبيعة المهمة التى جئنا من أجلها، مهمة تدريبنا لسكان تلك المناطق ليتمكنوا من تحديد احتياجات مناطقهم التى تعيش الرعب آناء الليل وأطراف النهار.

لقد حركنا أرجلنا فى تلك الدروب المعدة للموت بصعوبة بالغه، وكنا نسمع بوضوح شديد دقات قلوبنا وكأنها أصوات الأجراس تعلن من أعالى الكنيسة موت أحد.

لون التراب أصفر. ولون الشجر أكثر صفارا، ووجوه الناس ألواح تاريخ قديم، خط عليها الزمن الظالم نقوشه الدموية. الأطفال هناك شيوخ فى سن التقاعد من الحياة، والفتيات يعرفن جيدًا كيف يفلتن من جوع العقارب. والتى تسكن فى كل شق من أرض لمون.

سماء تنزل منها الراجمات على كل شىء، أولها أجساد البشر وكهوف فى الأرض هى مساكن يتقاسمها الناس مع الثعابين والعقارب.

كاد الخوف أن يسجل هزيمتنا، وفكرنا فى العودة من حيث أتينا ولكن قال لنا مسئول التدريب أن المشاركين وهم أهل تلك البقاع النازفة، جاء بعضهم بعد مسيرة ٣ أيام على الأقدام عبر دروب زرعت بالألغام. وحاصرتها الكماين.

كان لابد من البقاء مع الموت وفاء لأناس يستحقون الحياة، وافترش المشاركون الأرض لنقف نحن بينهم، نساعدهم على أن يمتلكوا بعض الأدوات التى تعينهم على محنهم ذات الحجم. فلا يكتفون بطعام تلقيه على رؤوسهم طائرات الإغاثة ولا يمنحون سمكًا من أيدى أصحاب الصدقات بل يتعلمون كيف يصطادونه كما جاء فى الحكمة الصينية.

إن المناخ العام الذى تم فيه تطبيق هذا المنهج فى (لمون) هو مناخ خارق لعادات مناخات أخرى تعود فيها هذا المنهج على الحركة. وبث رسالته متعددة الأصوات؛ لقد نفذ برنامج التدريب رغم كل المخاطر

والصعوبات ـ وتم رصد المشكلات ورسمت شجرتها، ورتبت الأولويات وأبدع المشاركون رغم غصات حلوقهم فى التعبير عن أى الحلول أنجح.

لقد صيغت البرامج من خيارات هم الذين اقترحوها ـ وكنا نستمع إليهم ـ ولا نضطرهم إلى استخدام الأدوات الصارمة التى ينادى بها المنهج، لقد تركنا الحبل على الغارب، واستخدمنا الأدوات الأقرب إلى طبيعة المشاركين. ولم نلجأ إلى قالب جاهز، أو أسلوب ملزم، وكانت النتيجة أن حلق الـ PRA فى فضاء لمون رغم رصاص غزير، وراجمات لا تكف عن ممارسة القتل.

إن التجربة الأخيرة التى أود استعراضها ـ كان مسرحها صعيد مصر «محافظتى قنا وأسوان» فى فترة امتدت من سبتمبر ١٩٩٩ وحتى فبراير ٢٠٠٠ ـ تم تنفيذها عبر ٦ برامج، وشملت ٢٦ قرية، ودرب فيها مناديب ٢٦ جمعية من جمعيات التنمية فى الصعيد على منهج البحث الريفى بالمشاركة الـ PRA.

لقد اتسمت هذه التجربة دون غيرها بالإمعان فى التجريب، وتجاوز الترتيب المألوف المتعارف عليه فى استخدام أدوات المنهج المختلفة، استنادًا إلى مرونته، والمبدأ الثابت فى فلسفته، والقاضى بقبول التعديل والتغيير متى ما استدعت الظروف ذلك.

كثيرًا ما أشار روبرت شامبرز إلى صعوبة التغيير فى النهج والسلوك على المستوى الشخصى والمؤسسى (ص ٤٢) وأكدت التجربة التى حدثت فى صعيد مصر على أن ذلك التغيير ممكن الحدوث، وقد عبرت عن ذلك مجموعات المشاركين فى الدورات التدريبية التى أقيمت

فى كل من جمهوريتى مصر والسودان كنموذجين للمنطقة الحربية، لقد أكدوا أن تغييرًا كبيرًا قد حدث لهم - فى فهمهم لقضايا مجتمعهم، واكتسابهم معرفة وصفوها بالعمق بفضل أدوات وأساليب الـ PRA، وقد عبر عن ذلك محمد طاهر أحد المشاركين من قرية رفاعة.

إن خير مثال لمدى تغلغل روح المنهج ووصوله إلى المشاركين يتجلى فى خطبة صلاة الجمعة بمسجد قرية الشاورية، والتى كان إمامها مهران على أحمد، وهو أحد المشاركين فى هذا البرنامج، وكان قد كرسها بكاملها للخروج من أشكال أعمال الخير التقليدية، وأسلوب الصدقات إلى الجلوس والتفاكر مع أهل القرية، وتلمس مشاكلهم، واحتياجاتهم المتعلقة بالصحة والتعليم والبيئة، وغيرها، وذلك من خلال روح الفريق والعمل الجماعى.

هذا الحدث ذو دلالة عميقة فى أن هذا المنهج يؤدى فعلاً إلى تمكين أفراد المجتمع وتحفيزهم للإمساك بزمام أمورهم ومعالجة الصعاب بقدر من الوعى والكدح المنظم».

وبالرغم من أن معظم المشاركين فى هذا البرنامج يتلقون مثل هذا التدريب للمرة الأولى إلا أن حجم التجاوب كان عاليًا، كما كانت المنافسة سمة بارزة بين المشاركين، ولنذهب أبعد من ذلك لنقول إن الحماس قد انتقل إلى معظم أفراد المجتمع غير المعتمدين فى التدريب. فقد حضر أفراد منهم إلى قاعة التدريب، بعضهم شارك بالحضور، والبعض الآخر شارك بفعالية فى عمل المجموعات، واستمرت مثابرتهم حتى اليوم الأخير والذى عادة ما تحضره مجموعة كبيرة من أهل القرى الأربعة وهم فخورون بما انجزوه من تحديد

لاحتياجات قراهم ومن اكتشاف لقدراتهم فى النهوض بأنفسهم دون معونة من أحد.

وهكذا ارتبط منهج الـ PRA دائمًا بالفرح واكتشاف الذات كما قال لنا روبرت شامبرز.

إن من الإضافات الجيدة فى تجربة صعيد مصر هو انبثاق فكرة تحليل شجرة المشكلة، وتحديد نوع الأثر للمشكلة، والفئة المتأثرة بالمشكلة، بالإضافة إلى نسبة المتأثرين من تلك الفئة، مستفيدين من المصادر الثانوية وغيرها من الأدوات الأخرى. هذه الإضافة الجيدة تدعم نتائج تطبيقات الـ PRA بالأرقام والنسب، مما يزيل كثيرًا من أسباب الاعتراضات عليه.

إن التطور الذى حدث فى تقارير المشاركين فى برنامج مركز (إسنا) مقارنة بمجموعات سابقة كان كبيرا، فالتحليل كان أكثر عمقًا ووضوحًا خاصة فى ربطهم للظواهر المختلفة واستخلاص النتائج من ذلك الربط.

لقد تم ربط التناقض الواضح فى عدد التلاميذ بمدرسة توماس وعافية الابتدائية لقد كان عددهم ٦٠٠ تلميذًا فى عام ٦٣ وهى السنة الأولى من التهجير وتراجع إلى ٤٨ تلميذًا فى آخر إحصائية عام ٩٩ وذلك بسبب قلة فرص العمل وهجرة الشباب خارج القرية بحثا عن فرص العمل وعدم العودة مرة أخرى. إن الفرصة الوحيدة للتنمية الاجتماعية فى أن تبقى مستدامة، تكمن فقط فى أن تقترح مشاريعها بواسطة أفراد المجتمع. حينما يحسون بأنهم أصحابها الفعليين، تزدهر بمجهوداتهم وتدار بواسطتهم ويكون عائدها لهم.

- **ABBEVIATIONS AND ADDRESSES**
- **Action Aid Action Aid, 2 Resthouse Road, Postbox 5406, Bangalore 560001, India**
- AKRSP Aga Khan Rural Support Programme (India), Choice Premises, Swastik Cross Roads, Navrangpura, Ahmedabad 380009, India
- IDS Institute of Development Studies, University of Sussex, Brighton BNI 9 RE, UK.
- IIEDSustainable Agriculture Programme International Institute for Environment and Development, 3 Endsleigh Street, London WCIH ODD, UK
- MYRADA MYRADA, 2 Service Road, Domlur Layout, Bangalore 560071, India
- NCAER Natiional Council for Applied Economic Research, 11 I, P. Estate, New Delhi 110002, India
- NIF Neighborhood Initiatives Foundation, Chapel House, 7 Gravel Leasowes, Lightmoor, Telford TF 43 QL, UK.
- ODI Overseas Development Institute, Regent's College , Inner Circle, Regent's Park, London NW! 4 NS.
- PRA Participatory Rural Appraisal
- RRA Rapid Rural Appraisal
- SPEECH 14 Jeyaraja Illam , Kiruba Nagar, Madurai 625014, India

References

- Action Aid, 1991, Jamkhed: Participatory Rural Appraisal in Identifying Major Illness, Healthcare Providers and Costs, Action Aid, Bangalore.
- Ampt, P.R, 1988, "**Rapid Rural Appraisal**" Forbbers Shire, February 1988 Initial Report, School of Crop Sciences, University of Sydney.
- Ampt, P.R and Ison, R.L, 1988 'Report of a Rapid Rural Appraisal to identify problems and opportunities for agronomic research and development in the Forbes Shire, NSW' School of Crop Sciences, University of Sydney, December.
- 1989 **'Rapid Rural Appraisal** for identification of grassland research problems; **Proceedings of the XVI International Grassland Congress**, Nice, France , PP 1291-2
- Appleton, Judith, 1992, 'Note from a food and nutrition PRA in a Guinean fishing village **RRA Notes** 16 PP 77-85
- Appleyard' B.,1992 Understanding the Present Science and the Soul of Modern Man, Picador, Published by Pan Books, London
- Ashby, J.A, 1990, **Evaluating Technology with Farmers: a Handbook , JPRA** Projects, Centro International de Agriculture Tropical (CIAT), AA 6713, Cali, Colombia, December.
- Bawden, R.J., Macadam, R.D., Packham, R.J and Valentine, I., 1984, 'Systems thinking and practice in agricultural education' , **Agricultural System** 13, PP 205-225
- Bayer, W, 1987, **'Browse quality and availability in a farming area and a grazing reserve** in the Nigerian subhumid zone' , Report to the ILCA Subhumid Zone Programme, Kahduna, Nigeria, Gottingen , May.
- Bayer, W., 1988, Ranking of browse species by cattelkeepers in Nigeria', **RRA Notes**3 PP 4-10, December

- Beebe, J. 1987 '**Rapid Appraisal**: The evolution of the concept and the definition of issues, in **KKU Proceedings** PP 47-68
- Belshaw, D., 1981, 'A theoretical framework for data-economizing appraisal procedures with applications for rural development planning,' in R. Longhurst (ed.) **IDS Bulletin** Vol 12 No 4, PP 12-22
- Bentley **Margaret** E., Pelto Gretel H., Starus L., Schumann, Debra A., Adegbola, Catherine, de la Pena, Emanuela, Oni, Gbolahan A., Brown, Kenneth H. and Huffman Sandra L. 1988,' Rapid ethnographic assessment: applications in a diarrhoea management program', **Social Science in Medicine** Vol 27 No1, PP 107-116
- Bernadas, C.N., Jr., 1991 'Lesson in upland farmer participation: the case of enriched fallow technology in Jaro, leyte, Philippines', **Forests, Trees and People Newsletter** 14, October PP 10-11
- Biggs, S., 1980, 'Informal R&D', **Ceres**, Vol No 4, PP 23-26
- BRAC, 1983, The Net: **Power Structure in Ten Villages** , Bangladesh Rural Advancement Committee, 66 Mokhahali Commercial Area, Dhaka 12
- Bradley, Sarah Murray, 1992, 'Visual literacy: a review with an annotated bibliography', mimeo, .IIED, London
- Brokensha, David W., Warren, D.M. and Werner, O. 1980, Indigenous Knowledge **Systems and Development**, University Press of **America , Lanham, Maryland.**
- Buchanan – Smith, M., 1992, Finding out how people prioritize their food security problems in shad: the challenges of RRA at national level', mimeo, IDS, Sussex
- Bunch, R, 1985, Two Ears of corn: **A Guide to people-Centered Agricultural Improvement**, World Neighbors, 5116 North Portland, Oklahoma City, Oklahoma 73112

- Campbell, G.J., Shrestha, R. and Stone, L., 1979, **The Use and Misuse of Social Science Research in Nepal**, Research Center for Nepal and Asian Studies Tribhuvan University, Kirtipur, Kathmandu.
- Carruthers, Ian and Chambers, Robert, 1981, Rapid Appraisal for rural development, **Agricultural Administration** Vol 8 No 6, PP 407-422
- Case. D'Arcy Davis, 1990, The Community's Toolbox: The Idea, Methods and Tools for Participatory Assessment, Monitoring and Evaluation in Community Forestry, Community Forestry Field Manual 2, FAO, Rome.
- Cernea, Michael (ed.) 1985, Putting People Firt: **Sociological Variables** in Development Projects, The Johns Hopkins Press, Baltimore.
- Chambers Robert, 1981, '**Rapid Rural Appraisal**: rationale and repertoire' IDS Discussion Paper No 155, **IDS**, Sussex
- 1992, The self deceiving state, **IDS Bulletin** , Vol 23 No 4 IDS, Sussex
- Chambers, Robert and Harriss, John, 1977, 'Comparing twelve South Indian villages: in search of practical theory', in B.H. Farmer (ed.) **Green Revolution? Technology and Change in Rice Growing Areas of Tamil Nadu and Sri Lanka** , PP, 301-322
- Chambers, Robert and Jiggings, Janice, 1986, 'Agricultural research with resource- poor farmers: a parsimonious paradigm', **IDS Discussion Paper** 220, IDS, Sussex
- Chambers, Robert, Pacey, Arnoled and Thrupp, Lori Ann, (eds.) 1989, **Farmer First: Farmer Innovation and Agriculture Research**, Intermediate Technology Publication, London
- Checkland, P.B., 1981,**Systems Thinking, Systems Practice**, John Wiley, Chichster.

- Collision, M., 1981, 'A low cost approach to **understanding small', Agricultural Administration**, Vol 8 No 6, PP 433-450
- Convergence, 1975, Vol. 7 No 2, 1981, Vol. 14 No 2, and 1988, Vol. 21 No 2 and 3: special issues on participatory research.
- Conway, G, 1985, Agroecosystem analysis', **Agricultural Administration**, 20 PP 31-55
- 1986 **Agroecosystem analysis for research and development**, Winrock International Institute for Agricultural Development, PO Box 1172 Nana Post Office, Bangkok 10112.
- 1987, Rapid Rural Appraisal and Agroecosystem analysis: a case study from Northern Pakistan in KKU proceeding pp 228-254.
- 1988, 'Rainbow over Wollo', **New Scientist 5** May.
- 1989, 'Diagrams for farmers', in R. Chambers, A. Pacey and L.A. Thrupp (eds.) **Farmer First**, PP 77-86.
- Conway, G., Sajise, P. and Knowland,W,1989 'Lake Buhi: resolving conflicts in a Philippines development project', **Ambio vol 18 No2,pp 128- 135.**
- Cornwall, Andrea, 1992 Body mapping in health RRA/PRA', **RRA Notes** 16 pp 69-76.
- Cresswell, Teresa, 1992 Unemployment and health: the development of the use of PRA in identified communities in Staveley, north Derbyshiré , **RRA Notes** 16 pp 27-30.
- Daane, J.R.V., 1987, 'Quelle Méthode pour l'Analyse de systèmes de production en Zone Rurale Tropicale: Le Dilemme entre Démarche Quantitative Peu Fiable et Démarche Qualitative Peu Généralisablé, contribution au 8éme séminaire d'Economie Rurale, CIRAD, Montpellier.
- Devavaram, John Nalini, J. Vimalnathan, Abdul Sarkar, Kirshnan, A.P. Mayandi and Karunanidhi, 1991, 'PRA for Rural Resource Management', **PRA Notes 13pp 102-111.**

- Dunn A.M.1991, 'New challenges for extensionists: targeting complex problems and issues" paper for the 10th European Seminar on Extension Education, Universidade de Tras-os-Montese Alto Douro, **Vila Real, portugal, September.**
- **Dunn, Tony and McMillan, Allan, 1991**, Action research: the application of Rapid Rural Appraisal to learn about issues of concern in landcare areas near Wagga Wagga, NSW', paper presented to a Conference on Agriculture, Education and Information Transfer, **Murrumbigee College of Agriculture, NSW, September 30 to October 2 1991.**
- ECRS, 1988,**Rapid Rural Appraisal**: a Closer Look at Rural life in Wollo, Ethiopian Red Cross Society, Addis Ababa and the IIED, London.
- Ekins, P., Hillman Mayer and Hutchinson, Robert, 1992, Wealth beyond Measure: **an Atlas of New Economics**, Gaia Books, London.
- Farmer, B.H., 1977, Green Revolution? Technology and Change in Rice-Growing Areas of Tamil Nadu and Sri Lanka, Macmillan, London and Basingstoke.
- Farrington, John, (ed.), 1998, **Experimental Agriculture**, vol 24 part3
- Farrington, John and Martin, Adrienne, 1988, 'Farmer participation in agricultural research: a review of concepts and practices' **Agricultural Administration** Occasional Paper No9 ODI, London.
- Francis, Sheelu, Devavaram, John and Erksine, Arunothayam, 1991, 'Workshop on Participatory Rural Appraisal for Planning Health Projects', October 2-5-1991, **SPEECH Madurai.**
- Francis, Sheelu Devavaram John and Erskine Arunothayam,1992, Training Workshop on Participatory Rural Appraisal for planning health projects,' RRA Notes 16pp 37-47.

- Franzel, Steven and Crawford, Eric, 1987 , 'Comparing formal and informal survey techniques for farming systems research: a case study from **Kenya, Agriculture Administration 27,pp13-33.**
- Freire, Paulo,1968, **Pedagogy of the Oppressed**, the Seabury Press, New york.
- FSRU, 1991 structural adjustment and communal area agriculture in Zimbabwe: case studies from Mangwende and Chivi communal areas: a report of a rapid rural appraisal exercise', Farming systems Research Unit, Department of Research and Specialist services, Ministry of Lands, Agriculture and Rural Settlement, Harare Zimbabwe November.
- FSSP, 1987, **Diagnosis, Design and Analysis in Farming systems Research and Extension,** Volumes I, II and 111 and Trainer's Manual, Farming systems Support Project, Institute of food and Agriculture Sciences, University of Florida, Gainesville, Florida 32611, December
- Funtowicz, S.O. and Ravetz JR., 1990 **Global Environmental Issues and the Emergence of Second Order Science,** Commission of the European Communities, Luxembourg
- Gaventa, John and Lewis, Helen, 1991 'Participatory education and grassroots development the case of rural Appalachia **Gatekeeper Series** 25, IIED London
- Gibbs, Christopher, 1987, Rapid Rural Appraisal: an overview of concepts and applications', in **KKU Proceedings** PP 139-206.
- Gibson, Tony, 1991, 'Planning for real: the approach of the Neighborhood Initiatives Foundation in the UK, **RRA Notes** 11pp29-30.
- Gilbert E.H., Norman, D.W. and Winch, F.E.1980, Farming Systems Research: a critical appraisal', **MSU Rural Development Paper** No 6, Development of Agricultural

Economics, Michigan State University, East Lansing Michigan **48824**.

- Gill, G., 1991, 'But how does it compare with the real data?', **RRA Notes 14pp 5-14** (also **Research Series** Number 16, HMG Ministry of Agriculture Winrock International, Kathmandu, January 1992).
- Forthcoming, 'participatory methods in policy analysis for natural resource management', in Natural resource Economics of India: **a Guidebook for Researchers and policy Makers** Oxford and I BH, New Delhi.
- Gleick, J, 1987, **Chaos**: **Making a New Science**, Heinemann, London.
- Gould, P., and white, R 1974 **Mental Maps**, Penguin Books, Harmondsworth, UK
- Grandin, Barbara, 1988, **Wealth Ranking in Smallholder Communities**: **a field Manual** Intermediate Technology Publications, 103 **Southampton** Row, London.
- Grandstaff, Terry B., and Grandstaff, Somluckrat W., 1987a 'A conceptual basis for methodological development in Rapid Rural Appraisal', in **KKU proceedings** pp 69-88.
- 1987b, 'Semi-structured interviewing by multidisciplinary teams in RRA', in **KKU Proceedings** pp 129-143.
- Grandstaff Somluckrat W., Grandstaff, Terry B. and Lovelace, George W., 1987, Summary report, in **KKU Proceedings** pp 3-30.
- Groenfeldt, D., 1989, 'Guidelines for rapid assessment of minor irrigation systems in Sri Lanka **Working Paper** No 14 International Irrigation Management Institute, Sri Lanka.
- Gueye, Bara and Schoonmaker, Freudenberger, Karen, 1990, Introduction a la Methode Acceleree de Recherche Participative

(MARP) center de Recherches pour le Devloppement International, BP2435, Dakar, Senegal, **October.**

- Gueye, Bara and Karen Schoonmaker Freudenberger 1991, **Methode Acceleree de Recherche Participative**, IIED, London, August.
- Guijt, Irene, and Manneh, Karafa, Martin, Mary and sarch, Terri, 1992, 'Reflections on the training: process and prospects, in **From Input to Impact**: **Participatory Rural Appraisal for ActionAid The Gambia**. ActionAid, the Gambia and IIED, London, March pp 1-19.
- Guijt Irene and Pretty, Jules N., forthcoming, **Participatory Rural Appraisal** for Farmer Participatory Research in Punjab, Pakistan, IIED, London.
- Gypmantasiri et al. And Conway, Gordon, 1980, **An Interdisciplinary Perspective of Cropping in the Chiang Mai Valley**: **Key Question for Research,** Multiple Cropping Project, Faculty of Agriculture, University of Chiang Mai, Thailand, June.
- Hahn, H, 1991, Apprendre avec les yeux, s'exprimer avec les mains: des paysans se forment à la gestion du terroir, AGRECOL, Oekozentrum, CH-4438 Langenbruck , Switzerland.
- Harwood, R. 1979, Small Farm Development: **Understanding and Improving Farming Systems in the Humid Tropics,** Westview Press, Boulder, Colorado.
- Hill, Polly, 1972, **Rural Hausa**: a village and a Setting Cambridge University Press, Cambridge.
- IDS, 1979, "**Whose Knowledge counts**?" IDS Bulletin Vol 10 No 2
- 1992, Some Sources on Rapid and Participatory Rural Apprasial
- **Inglis, Andrew Stewart**, 1990, Harvesting local forestry knowledge : a field test and evaluation of rapid rural appraisal

techniques for social forestry project analysis, dissertation presented for the degree of Master of Science , University of Edinburgh

- -1991, 'Harvesting local forestry knowledge; a comparison of RRA and conventional surveys', **RRA Notes** 12 PP 32-40.
- Ison, Raymond 1., (1990), '**Rapid Rural Appraisal**: a participatory "**problem" identification method relevant to Australian agricultur**e', School of Crop Sciences, University of Sydney 2006.
- Jamieson, N., 1987, The paradigmatic significance of RRA, in **KKU Proceedings** PP 89-102
- Jayakaran, Ravi, 1991, 'PRA Camp at Mahilong, Bihar, 27-30 November 1990: Krishi Gram Vikkas Kendra', **RRA Notes** 13 PP 118-122.
- Johansson, Lars, and Hoben, Allan, 1992, 'RRA's for land policy formulation in Tanzania', Forsets, **Trees and People Newsletter** 14/15 February PP 26-31
- Joseph, S., 1991, 'Lead-time, lag time: RRA/PRA in Action Aid', Action Aid Postbox 5406, 2 Resthouse Road, Bangalore 560001.
- 1992, 'Participatory Rural Appraisal in identifying major illness, healthcare providers and costs', **RRA Notes** 16 PP 53-56
- Joseph, Thomas, and Joeph, Sam, 1991, 'PRA in Malda District, **West Bengal: report** of a training workshop for ActionAid India and Tagore Society for Rural Development', **RRA Notes** 13 PP 95-101
- Kabutha, Charity, and Ford Richard, 1988, 'Using RRA to formulate a village resources management plan, Mbusanyi, Kenya **RRA Notes** 2, October PP 4-11.
- Kaplinsky, R., 1991, 'from mass production to flexible specialization: a case study from a semi- industrialized

economy, **IDS Discussion Paper** 295, IDS, Sussex, November.

- Kassam, Yusuf, and Mustafa, Kemal, (eds), 1982, Participatory Research: **'An Emerging Alternative Methodology in Social Science Research, Society for Participatory Research in Asia**, 45 Sainki Farm, Khanpur, New Delhi 110062.
- KKU, 1987, Proceedings of the 1985 **international conference on Rapid Rural Appraisa,l** Rural Systems Research and farming systems research projects, University of Khon Kaen, Thailand.
- Kochendorfer-lucius G., and K., Osner, 1991, **Development has got a face: Lifstories of Thirteen Women in Bangladesh on people's economy,** Results of the International Exposure and dialogue program of the German Commission of justice and peace and Grameen Bank in Bangladesh, October 14-22 1989, Gerechtigkeit and frieden series, Deutsch Commission Justitia et pax, kaiserstrasse 163 D-5300 Bonn1
- Kumar, Alok, 1992, "trends in health care", RRA Notes 16 PP 48-52
- Kumar, Sommesh, 1991, 'Anantapur experiment in PRA training', **RRA Notes** 13 PP 112-117
- Lightfoot, Clive, et. al., 1991, **Training Book for Participatory Experimental Design,** Narenda Dev University of Agriculture and Technology, Faizabad Up, India, International Center for livingAquatic Resources Management. Manila', Philippines International Rice Research Institute, Manila, Philippines.
- Longhurst, R., (ed.) 1981, **Rapid Rural Appraisal**, IDS bulletin, Vol12, No4

- Lovelace, George W., Subhadhira Sukaesince and Simaraks Suchint (eds.), 1988, **Rapid Rural Appraisal in Northeast Thailand: Case Studies** KKU- Ford Rural System Research Project Khon Kaen University, Khon Kaen, Thailand.
- McCracken, J.A., 1988, **Participatory Rapid Rural Appraisal in Gujarat**: a Trial Model for the Aga khan Rural Support Programme (India), IIED, London November
- 1990, 'BOBP tries out RRA in Chinnamedu, Tamil Nadu', **Bay of Bengal News**, June 1990 PP 2-5
- McCraken, J.A., Pretty, Jules N. and Conway, Gordon, R., 1988, An Introduction to **Rapid Rural Appraisal for Agriculture Development**, IIED, London, November
- Mascarenhas J. 1990 transects in PRA', **PALM Series** IV E, MYRAD, 2 Service Road, Domlur layout, Bangalore 560071
- Mascarenhas J., and P.D Prem Kumar 1991,' participatory mapping and modelling user's notes', RRA Notes 12 PP 9-20.
- Mascarenhas J., **et a**l 1991, Participatory Rural Appraisal: **Proceedings of the February 1991 Bangalorre PRA trainers workshop RRA Notes Number** 13, IIED, London and MYRADA, Bangalore, August.
- Maxwell, Simon, 1989 'Rapid food security assessment: a pilot exercise in Sudan', RRA Notes 5
- Mduma, E.K., 1982, Appropriate technology for grain storage at Bwakira chini village', in kassam and Mustafa (eds.) **Participatory Research,** PP 198-213
- Mearns, R., 1991, 'Environmental implications of structural adjustment: reflections on scientific method, **IDS Discussion Paper** 284, IDS Sussex, February
- Mearns, Robin Shombodon, D., Narangerel, G., Turul, U., Enkhamgalan, A., Myagmarzhav, B., Bayanjargal, A., and

Bekhusuren B., 1992, Direct and indirect uses of wealth ranking in Mongolia, **RRA Notes** 15 PP 29-38

- Moris, Jon R., 1970, '**Multi-subject farm surveys reconsidered: some methodological lessons** paper for the East African Agricultural Economics Society Conference, Dar es Salaam 31 March to 4 April 1970.
- Moser C.A., and Kalton, G., 1971, **Survey Methods in Social Investigation**, Second Edition, Heinemann Educational books Ltd, London.
- Mukherjee, Neela, 1992, 'Villagers' perceptions of rural poverty through the mapping methods of PRA', **RRA Notes** 15 PP 21-26.
- NES, 1990, **Participatory Rural Appraisal Handbook**, National Environment Secretariat, Kenya, Clark University; Egerton University; and the Center for International Development and Environment of the world Resources Institute, February.
- Norman D.W., 1975, 'Rationalizing mixed cropping under indigenous conditions: the example of Northern Nigeria', **Smaru Research Pulletin** 232, Instituate for Agriculture Research, Samaru Research Ahmadu Bello University, Zaria, Nigeria (**also Journal of Development Studies** n.d. pp3-21)
- Osner, Karl Koshendorfer-Lucius, Gudrum, Muller-Glodde, Ulrike, and Warning, Cludia, 1992, **Exposure-und Dialogprogramme: Eine Handreichnung fur Teilnehmer und Organisatoren**, Justiya et Pax, Kaisersrasse 163, 5300 Bonn 1
- Palm Series 1-5 continuing **MYRADA,** 2 Service Road, domlur Layout , Bangalore 560 071

- Pelto, Perlto, Greted H., 1978, **Anthropological Research**: The Structure of Inquiry, second edition, Cambridge University Press
- PID and Ness, 1989, An Introduction to Participatory Rural Appraisal for Rural Resources Management, Pogromme for International Development, Clarck University, Worcester, Mass and National Environment secretariat, Ministry of Environment and National Resources, Nairobi, November
- Potten, D., 1985 'Rapid Rural Appraisal'- emergence of methodology and its application to irrigation: a bibliographical review', paper for the Review and Development Seminar on Selected Issues in Irrigation Management, International Irrigation Management Institute, Sri Lanka
- pottier, J., 1991, 'Representation and Accountability: understanding social change through Rapid Appraisal, with reference to Northern Zambia, mimeo, Department of Social Anthropology, SOAS, University of London, April
- PRA Team, 1991, The Kyeamba Valley: Issues of Concern to Landholders and Their Families, identified in a participatory rural appraisal by members of the Kyeamba village community, September 1991, complete by a PRA team with following connections: Landcare, Department of Conservation and Land Management, New South Wales, Agriculture, School of Agriculture, CSU-R, Center of Conservation Farming, CSU-R, School of Crop Science, University of Sydney and Wagga Wagga City Concil
- Pretty, Jules N., 1990, **Rapid Catchment Analysis for Extension Agents**: Notes on **1990 Kericho Training Workshop** for the Ministry of Agriculture, Kenya. Sustainable Agriculture programme, IIED, London November

- Pretty, Jules, Subramanian, S., Ananthakrishnan, D., Jayanthi, C., Muralikrishnasami, S. and Renjanawaki, K., 1992, Finding the Poorest in a Tamel Nadu Village: a sequence of mapping and wealth ranking, **RRA Notes** 15 pp 38-42
- Rahman, Md Ansiur (fed.), 1984, **Grassroots Participationand Self –reliance**, Oxford and Ibh, New Delhi
- Ramashandran, Vidya,1990, **A workshop on Participatory Learning Methods,8th to 12th January 1990**, MYRADA Talavadi Project, PRA / PALM Series Number 1, MYRADA, Bangalor
- Rhoarhaoades, Robert, 1982, **The Art of the Informal Agriculture Survey,** International Potato Center, Apartado5969 Lima
- 1990, **The coming revolution in methods for rural development research:** User's Perspective Network (UBWARD), International Potato Center, (CIB), Po box 933, Manila
- Rhoades, R.E., and Booth, R., 1982, 'farmer-back-to-farmer: a model for generating acceptable agricultural technology', **Agricultural administration**, Vol 11 pp 127-137
- Richerds, P., 1985**, Indigenous Agricultural Revolution**, Hutshinson, London and West view Press, Colorado
- Rocheleau, Diane, Wachhira, Kamoji, Malaret, Luis and Mushiri Wanjohi, Bernarb, 1989, **'Local knowledge for Agroforestry and Native Plants'**, in R.Chambers, A,Pacey and L.R.Thrupp (eds,) Farmer First, pp 14-24
- **RRH Notes** 1-16 and continuing, Sustainable Agriculture Programme, International Institute for environment and Development, 3endsleigh Street, London Wcih ODD
- Russell, David B., and Ison, Raymond L., 1991**, The research-development relationship in range lands**: an opportunity

for contextual science, Plenary Paper for Fourth International Rangelands Congress, Montpellier, Franc,22-26April

- SPR in Asia, 1982, Participatory Research: an Introduction, Society for Participatory Research in Asia, 45 Sainik Farm, Khanpur, New Delhi 110062
- Sachs, Wolfgang (ed.), 1992, The Development Dictionary: **a Guide to knowledge as Power**, Zed Book, London and New Jersey
- Scoones, I., 1988. '**Learning about wealth**: an example from Zimbabwi', RRA Notes No2
- Scrimshaw, S., and Hurtado, E., 1987, **Rapid Assessment Procedures for Nutrition and Primary Health care:** Anthropological Approaches for Improving Programme Effectiveness, United Nation University, Tokyo; UNICEF/UN Children's Fund; and UCLA Latin American Center, Los Angeles
- Senker, R., 1989, '**Managing without Managers'**, Harvard Business Review, September-October, pp76-84
- Senaratne, S.P.F., 1976, 'A program of micro-level studies in rural Sri Laka' mimeo, no source given, 12 pages
- Shah, Anil C., 1991, '**Shoulder tapping: a technique of training in participatory rural appraisal**', Forests, Trees and People Newsletter 14, October, pp14-15
- Shah, Meera, forthcoming, '**Participatory Forestation Programme**: sequence adopted by Aga khan Rural Support Programme(India)'
- Shah, Parmesh, 1989, '**Concept of people's participation** in the watershed development-extension volunteer approach', **mimeo, AKRSP, June**
- 1990, 'Economic classification of a community using locally generated criteria' **RRA Notes** No8

- 1991, **Sequences in Participatory Rural Appraisal** (PRA): Background Note for the 24 October 1991 Joint IIED/IDS Workshop, IDS
- Shah, Parmes, Bharadwaj, Girish, and Ambatha, Ranjit, 1991, 'Farmers analysis and facilitators in participatory rural appraisal and planing', **PRA Notes 13** pp84-94
- Shaner, W. W., Philip, P.F.and Schmehl, W>R>, 1982, **'farming systems Research and Development:** Guidelines for Developing Countries, Westview Press, Boulder, Colorado
- Silverman, Sydel F., 1966, An ethnographic approach to social stratification: prestige in a central Italian community', American Anthropologist Vol 68 No 4 : 899-921 (quated in pelto and pelto 1978: 82—4)
- Swift, J., 1981, **'Rapid appraisal and cost-effective research in West Africa'**, Agricultural Administration 8, 6 November pp 485-492
- Swift, Jeremy and Umar, Abdi Noor, 1991, Participatory Pastoral development in Isiolo District: **socio-ecnomic research in the Isiolo Livestock Development** Project, Isiolo **Livestock Development Project**, EMI ASAL. Programme, Isiolo, Kenya
- Van Steijn, T., 1991, **Rapid Rural Appraisal** in the Philippines: report of a study on the application of RRA by Philippines NGOs, GOs, and University Institutes', draft version for comment, Council for People's Development, 175B Kamias Road, Quezon City, Metro Manila, Philippines, July
- Theis, J, and grady, H, 1991, **Participatory Rapid Appraisal for Community Development**: a Training Manual Based on Experiences in the Middle East and North Africa, Save the Children and IIED, London

- Tolley, Elizabeth and Bentley, Margaret E., 1992, '**Participatory methods for research on women's reproductive health**', RRA Notes 16pp63-68
- Voyce, M., et al., 1989 The transfer of the family farm, National Farmer (Australia), 10 March, 1989 pp 1-17
- Welbbourn, A., 1991 'PRA and the analysis of difference', **RRA Note** 14 pp14-23, December
- -1992, ' A note on the use of disease problem ranking with relation to socio-economic well-being an example from Sierra lion', Rra Notes 16 pp86-67
- Whyte, A.V.T., 1997, Guidelines for field studies in Environment perception , UNESCO, Paris
- Whyte, William Foote (ed.), Participatory Action Research, Sage Publication, Newbury Park, London, New Delhi
- Wignaraja, Ponna, Akmal Hussain, harsh Sethi and Ganoeshan Wignaraja, 1991, Participatory Development: **Learning from South Asia**, United Nations University Press, Tokyo and Oxford University Press, karachi

المترجمة

- د. ماجدة ميرغنى محمد
- تخرجت فى جامعة موسكو
- حازت درجة الماچستير والدكتوراه عام ١٩٨٧ فى علم ميكريبولچيا التربة من جامعة موسكو
- عملت نائبًا لمدير قسم المراعى الطبيعية بوزارة الزراعة ـ الخرطوم
- محاضر متعاون بجامعة أم درمان الأهلية قسم الدراسات البيئية
- محاضر متعاون بجامعة النيلين «فرع القاهرة سابقًا» بقسم الدراسات العليا
- عملت مديرًا عامًا لمؤسسة (إيبونى) للتدريب والاستشارات
- عملت أمينة لإعلام اللجنة التنفيذية لجمعية حماية البيئة السودانية
- شاركت فى العديد من ورش العمل ومؤتمرات البيئة على المستوى الأفريقى والعربى والدولى
- نشرت العديد من الترجمات والمقالات فى دوريات محلية وعربية وأجنبية

دار البستاني للنشر والتوزيع
٢٩ ش الفجالة ١١٢٧١ القاهرة
ت ٥٩٠٤٣١٤ ـ ب ض
م.ض: ١٩١ ٢٤ ٤١٦٦٦ /٥ مدينة

دار النصر للطباعة الإسلامية
مكتبة الإسكندرية ALEXANDRINA
شارع نشاطي شبرا القاهرة
الرقم البريدى ــ ١١٢٣١

إن تحقيق المستوى النموذجي للعيش الإنساني يتطلب أول ما يتطلب، مناخاً من الديمقراطية واللامركزية، وتبجيل روح النقد والإختلاف. ومن ثم وضع كل الاعتبارات لطاقات أهل الريف، ومعارفهم المحلية الأصيلة.

إن كل تفكير شديد الضيق، وكل ركون لحلول سهلة وجاهزة، وكل انغلاق وجمود، كل هذا وما شابهه يؤدي إلى فتح الباب واسعاً امام الفكر الشمولي، هائل الضرر وافر السلبيات.

روبرت شامبرز